تاريخ أوروبا السياسي والثقافي

بخطوطه العريضة

ولي شيرين

ترجمه إلى العربية :

د. نزار نبيل أبو منشار (الحرباوي)

آمنة نور قافالي

ANA HATLARIYLA

SİYASİ VE KÜLTÜREL AVRUPA TARİHİ

VELİ ŞİRİN

Outline of :

Political and cultural history in Europe

Veli shirin

Translated by:

Dr. Nizar Nabeel Abumunshar " hirbawi"

EMİNE NUR KAFALI

ANA HATLARIYLA

SİYASİ VE KÜLTÜREL AVRUPA TARİHİ

Veli şirin

ÇEVİRİ:

Dr. Nizar Nabeel Abumunshar " hirbawi"

EMİNE NUR KAFALI

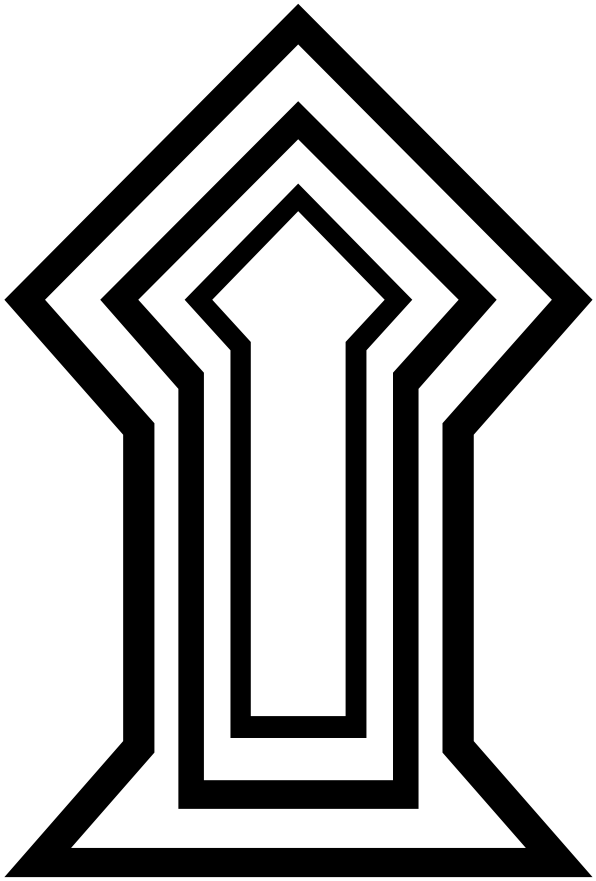

مقدمة فريق الترجمة

لله الحمد من قبل ومن بعد ،،،

لطالما تأثرنا بالغرب وأثرنا به ، لطالما كنا نتعلم من التجارب الناجحة والفاشلة منا ومنهم ، ولكن وفي زمن العولمة الطاغي ، وفي زمن التكنولوجيا المتقدمة ، أرى لزاماً علينا أن نقف مع أنفسنا وقفة تأمل ، نحاسب ونسأل أنفسنا عن حقيقة معرفتنا بما جرى وما يجري ، وهل فعلاً نعرف تاريخنا وتاريخ الآخر الأوروبي ؟

إن مما يدمي القلب أن نرى الشباب العربي والمسلم اليوم تائها في معارفه ، اختلطت عليه الأمور بين فهم سقيم للماضي ، ومعرفة سطحية بتاريخه وتاريخ من يقاسمه العيش على هذا الكوكب ، وفي المشرق الإسلامي عموماً ، نحن أمام تحديات جمة ، أبرزها أنماط فهمنا وأنماط عيشنا ، وفلسفتنا في بناء العلاقات الإيجابية والسلبية مع الآخر ، لا سيما وقد كنا مع الغرب على صلة كبيرة في التاريخ ، ومن لا يفقه تاريخه لا يحق له الحديث عن مستقبل .

لقد تجولت في المكتبات التركية طويلا ، وقرأت العديد من العناوين البراقة الجذابة ، ووقفت على مؤلفات ومصنفات تتحدث عن أوروبا وتاريخها وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي ، ولكني تعلقت بهذا الكتيب الصغير في حجمه والكبير في قيمته المعرفية ، فرغبت في الوقوف على معطياته ، ولما قرأته وتمعنت فيه ، وجدت المعلومات المختصرة والموجزة والسهلة فيه هي منطلقات عامة وهامة ومركزية في تشكيل الفهم العام لتاريخ أوروربا السياسي والمعرفي ، وهو التاريخ الذي يتم ترسيم المستقبل الأوروبي في ظلاله بكل أسف .

وبمعرفتي بالمؤرخ التركي الكبير ، الأستاذ ولي شيرين ، فقد طلبت الإذن منه لترجمة كتابه للغة العربية ، وقد سمح لي مشكورا بذلك ، وقد تشرفت بأن تساعدني في ذلك الأخت الفاضلة آمنة نور فيصل قافالي، والتي كانت لها بصمة واضحة في العون في مسيرة هذه الترجمة .

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الجهد ، وأن يعمق به الفهم ، وأن يتحقق المنشود والمراد

المترجمون:

د. نزار نبيل أبو منشار " الحرباوي "

آمنة نور قافالي

اسطنبول

٢٠/٥ / ٢٠١٤ م

مقدمة المؤلف

الحاجة إلى معرفة تاريخ أوروبا

هل نعرف كشعوب شرقية تاريخ أوروبا بما يكفي؟

أعتقد أن الإجابة التي ينبغي إيلاؤها للسؤال : ليست "نعم".

كيف يكون ذلك ؟ في حين إننا نعيش معهم بعض الأحيان بالسلم و بأحيان أخرى بالحرب لآلاف السنين، و نحن نعيش تحت تأثر واسع بهم اعتبارا من أواخر القرن الثامن العشر.

منذ أواخر نصف القرن الحالي ، وتحديداً (من عام ١٩٦٠ حتى يومنا هذا) يعيش قرابة خمسة ملايين مواطن تركي في أوروبا ، و يعملون هناك ويسهمون بصناعة أشكال وأنماط الحياة في الغرب، ولكن من جهة أخرى لازلنا نحاول الدخول في "الإتحاد الأوروبي" حتى يومنا هذا .و لهذا علينا أن نعرف تاريخ أوروبا أو باسمه الآخر (تاريخ الغرب) بخطوطه العريضة على الأقل.

بالرغم من وجود عدد كبير من الكتب الأكاديمية والعامة التي تشرح تاريخ أوروبا بجوانبه المتعددة ، إلا أن النقص في كتب تكسب المعلومة المجملة للقارئ ، وتجذبه لقراءة الكتاب في دفعة واحدة كان يشد إنتباهي منذ فترة.

وقد فكرت فيما يمكنني فعله، فأحببت أن أقدم الدراسات التي حصلت عليها خلال بضعة أعوام للقارئ باختصار و بموضوعية ، و قد استخدمت أسلوباً واضحاً وبسيطاً في التعبير واختزال المعلومات وبسطها للقارئ لتتحقق الاستفادة المرجوة .

من يقرئ هذا الكتاب الصغير بعدما يدرك الإطار الواسع و التسلسل الزمني – إن كان يريد ذلك – فيمكنه أن يتعمق في ما يريده من المجالات الواردة في الكتاب،وهنا، لا بد لي من القول: ما أسعدني إذا أفدتكم. و مما لا شك فيه أن الجهد منا والعون من الله.

أسكودار، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٠

الكاتب والمؤرخ التركي

ولي شيرين

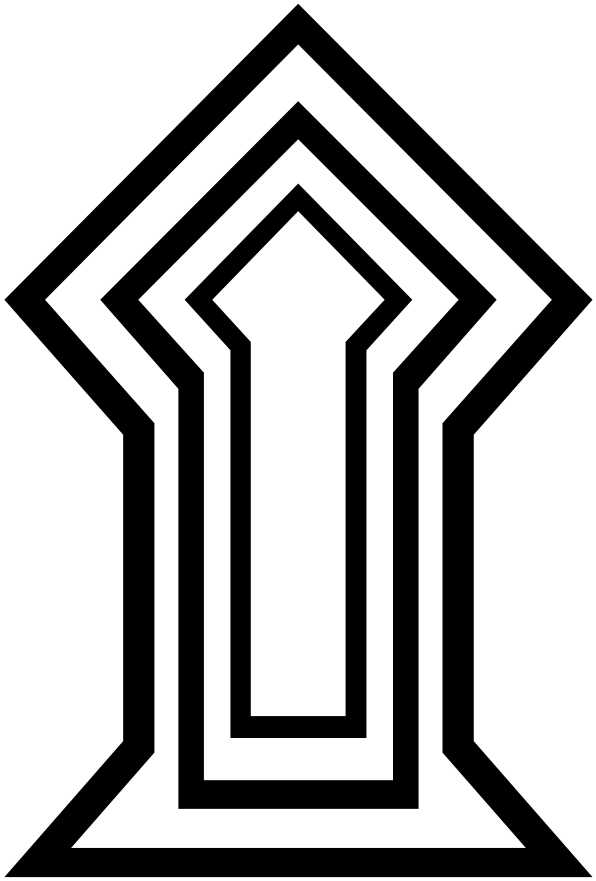

تاريخ أوروبا (١)

(من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة)

أ- تأسيس الممالك المركزية وانحلال الإقطاعية

انحلال الإقطاعية:

إن أكبر سبب من أسباب انهيار في نظام الإقطاعية بالعصور الوسطى – بالإضافة إلى المتغيرات السياسية والمعرفية ونسبة الوعي العام لدى الشعوب – هو استخدام مسحوق جديد في الأسلحة النارية أسهم بتغيير منظومة السيطرة من خلال صناعة وتطوير القذائف.

و بفضل القذائف الجديدة لم يستطع مجلس اللوردات أن يواجه الملوك الذين باتوا يسهمون في هدم قلاعهم و منازلهم، واختفوا على نحو متزايد فيما بينهم ، و قد تم تأسيس الممالك المركزية بعد فترة انحلال الإقطاعية مباشرة لينشأ بذلك عهد جديد .

ألمانيا

كانت مدينة فينا مركزاً لإمبراطورية ألمانيا ، التي كانت ترمز للقوة على مدى العصور الوسطى ، والسلالة الملكية الحاكمة هي هابسبورغ.

اسم آخر لامبراطورية ألمانيا التي تقوّت بدويلات سيطرت عليها بطرق مختلفة في العصر الخامس عشر هو : " الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة"، و تشارلس كوينت أو (شاركلن) أصبح رئيساً لهذه الإمبراطورية في سنة ١٥١٩م في ألمانيا المتكونة من الدويلات العديدة.

شاركلن بعد تقوية نظام ملكه ، أعلن الزحف الجغرافي لتوسيع نفوذه ، وبدأ يسيطر على أوروبا بكاملها ، إلا بريطانيا و فرنسا ، وأصبح منافساً كبيراً للدولة العثمانية .

إسبانيا

كانت الدولة الأموية الأندلسية المسلمة هي من حكم إسبانيا منذ عام ٧٥٦.

ونتيجة عوامل متعددة ،ورغم النفوذ الإسلامي في المنطقة ، إلا أن هذه الدولة تدهورت يوماً بعد يوم و لم تستطع تحمل النفوذ الغربي و لم تصمد ضد التقدم المسيحي المنطلق من الشمال.

كان الدولة المسلمة ، أو دولة بني الأحمر الحاكمة في (غرناطة) عالقة في السواحل الجنوبية الإسلامية لأوروبا في زمن فتح القسطنطينية، وكانت هناك ممالك متعددة في شبه الجزيرة لا يروق لها حكم الدولة الإسلامية هناك ، منها : قشتالة وأراغونيا والبرتغال.

اتحدت الممالك المتواجدة بإسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر – عدا البرتغال– وتم هدم دولة بني الأحمر كاملة عام (١٤٩٢) م ، وظهرت إسبانيا والبرتغال في شبه الجزيرة الأيبرية كمملكتين قويتين.

أصبحت إسبانيا والبرتغال من أوائل الدول المستفيدة من الجغرافيا في تلك المنطقة ، وكانتا من أوائل من أبحر في المحيطات، وقد أنشأتا المفاهيم والمخططات الاستعمارية في أوروبا وشجعتا عليها بأهمية التمدد والتوسع في بقاع العالم المختلفة .

و في القرن السادس عشر صارتا ثريتان و قويتان بما امتلكتاه من وسائل استعمارية، وعلى إثر مباحثات واستراتيجيات ثنائية اتحدت إسبانيا بألمانيا لضمان استمرارية القوة والتوسع نحو عالم جديد .

الإسبان وفق مخططاتهم الاستعمارية الجديدة باتوا يتمددون بفعل القوة العسكرية البحرية لديهم في مناطق جديدة ، وقد أنشؤوا المستعمرات الخاصة بهم في أمريكا الجنوبية والوسطى.

فرنسا

فرنسا، رغم ضعف ملك بريطانيا الثالث أدوارد في الحروب العصرية (١٣٣٧-١٤٥٣) المنطلقة بسبب ادعاء حقه في العرش الفرنسي ، كانت تخضع لإدارة سلالة كابيت الحاكمة.

بدأ نظام الإقطاعية ينهدم في أواخر القرن الخامس عشر ، واستقرت إدارة الملكية على إثره، وأصبحت قوية بفرنسا ومتجذرة كمفهوم وسلوك في القرن السادس عشر.

ملوك فرنسا كانوا مضطرين لأن يكافحوا ويدخلوا على خط المواجهة مع العديد من الدول في المنطقة ، وخاصة ألمانيا ، من أجل تنفيذ سياساتهم في أوروبا.

لهذا ،فقد قامت المملكة الفرنسية بخطوات متعددة في تلك الحقبة ، أبرزها ما قام به ملك فرنسا " فرانسوفا " من توقيع بعض الإتفاقيات مع الدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني.

أصبحت فرنسا مركزا مؤثراً في أوروبا من الناحية الثقافية في القرني الخامس عشر والسادس عشر. ونجت فرنسا من ضغط اللاتينية في تلك الفترة ، وقد بدأت بإنشاء مراكزها المعرفية والأكاديمية ، وجامعة باريس- السوربون نالت السمعة العالمية مبكراً ، وكانت دلالة على هذا التوجه الجديد .

أما مملكة بريطانيا فقد كانت تمتلك الجزء الآخر من الجزيرة ما عدا اسكتلندا، وإبان فترة الحروب العصرية فقد اهترأت الملكية فيها ، إضافة إلى عامل الحروب الداخلية التي عصفت بها وجعلتها ضعيفة أكثر فأكثر.

انفصلت مملكة بريطانية خلال حركات الإصلاح عن البابوية وأسست كنيستها الخاصة ، وكانت هذه علامة فارقة على حجم التحول الحاصل فيها .

وبقدوم الملكة إليزابيث الأولى ، بدأت بريطانيا تخط طريقها من جديد ، فقد جعلت الملكة إليزابيث الأولى الدولة قوية على المستوى العسكري البحري من خلال الأسطول البريطاني في القرن السادس عشر ، وحصلوا على العديد من المستعمرات و تعزز حضورهم الدولي بعد فترة.

ولايات إيطاليا

في إيطاليا كانت هناك ولايتان من الولايات الإيطالية الكبرى ، هما : الجنويون (أهل جنوى) و فنديك ، وقد كانتا تعملان في المجالات البحرية منذ القدم .

كان للفينياديكيين أساطيل حربية بحرية قوية وضاربة ، وقد اشتهروا أيضاً بالتجارة الضخمة والمتنوعة. وفعلياً كانوا يحكمون البحر الأبيض المتوسط بقدراتهم وإمكاناتهم .

وقد كان لدى الجنويين مساحات حراك بري وبحري واسعة، فقد كان لديهم البحر الأبيض المتوسط و موانئ في بحر إيجا ، ونفوذ في البحر الأسود وقلاع مختلفة في جغرافيا واسعة ، و لذا ، كانت أول إشكالية تواجه تقدم الأتراك بعد فتح قسطنطينية هي هاتان القوتان النافذتان .

فنديك و جنوى كانتا ثريتان بفضل تجارتهما كذلك ولديهما اقتصادهما القوي .

كما كانت الحاضرة البابوية (الفاتيكان) دولة أخرى هامة في إيطاليا ، فقد كان للبابوية احترام روحي وافر عند جميع الدول المسيحية.

إن الدول المسيحية المنتشرة في الجغرافيا الأوروبية كانت تنفذ غالبا ما تخططه لها إدارة الفاتيكان في توجيه السياسة بين الأمم والتحالفات الدولية والعلاقات الأممية ،وهنا تجدر الإشارة إلى أنه قد تم دعم مارتن لوثر وحركة الإصلاح في أوروبا من قبل الدولة العثمانية بعهد السلطان سليمان القانوني بشكل سري لإضعاف قوة الفاتيكان وسيطرته على القرار الأوروبي.

وعلى الرغم من كل هذا ، إلا أن الباباوات في الفاتيكان لم يتخلو أبداً عن الحفاظ على اتحاد الدول المسيحية في مواجهة الدولة العثمانية ، وكان سعيهم مستمراً لتهيئة وديمومة الحروب الصليبية التي كانت تستهدف المشرق الإسلامي برمته .

لهستان (بولندا)

كانت مملكة لهستان مملكة قوية في القرن الخامس عشر.

كانت هذه المملكة محاطة من الشرق ب"آلتن أرضا" ومن الغرب بألمانيا و من الجنوب بهنغاريا.

أصبحت لهستان مشكلة بين الدول الأوروبية نتيجة رؤيتها وسياساتها الخاصة ، وفقدت مملكة لهستان قوتها في القرن السادس عشر.

بعد رؤية الدولة العثمانية للمعادلة الدولية في أوروبا ، وحرصا من الدولة العثمانية على تحقيق توازن نوعي فاعل ، فقد تدخل القائد صكلو محمد باشا في ترتيب أوضاع المنطقة ، وفي تسيير أمور مملكة لهستان ، وبالتالي ظلت المملكة تحت حكم العثمانيين لمدة في أواخر القرن السادس عشر.

هنغاريا

اعتبارا من سيطرة الدولة العثمانية على منطقة روملي أصبحت هنغاريا عدوا لدودا للدولة العثمانية وناصبتها العداء في كل المحافل .

كانت هنغاريا تمتلك جيشاً برياً قوياً ، وكانت لديها أطماعها وأحقادها تجاه الدولة العثمانية ، ولذلك، فقد شاركت في الاتحاد الأوروبي السياسي الذي أسسته السلالة الحاكمة " هابس بورغ " ، وحاربت ضد العثمانيين في الصفوف الأولى بضراوة في القرن السادس عشر.

غير أنه تم فتح أراضي هنغاريا في العهد العثماني ، وتحديداً في عهد السلطان سليمان القانوني ، وانضمامها إلى الأراضي العثمانية كان له أثر كبير على كل المعادلة الأوروبية ومستقبل القارة برمتها.

روسيا

اتسعت إمارة موسكو نحو الشرق بانهيار دولة التن ارضا (١٢٤٢-١٥٠٢/١٣٩١) في القرن الخامس عشر و أرست أسس روسيا الحالية بالتقدم والتوسع الجغرافي حتى جبال الأورال.

تقدم روسيا أثارت قلق كثير من الدول والممالك لا سيما القيادات التركستانية والدولة العثمانية ، و لم تكف التدابير المأخوذة في الحد من هذا النمو الروسي المتزايد ، فواصلت روسيا تقدمها دون توقف في اتجاهات متعددة مستفيدة من المتغيرات الدولية في تلك الحقبة .

دول أوروبا الشمالية

هناك ما يعرف بدول أوروبا الشمالية ، ومنها السويد والنرويج والدنمارك ، وهي دول لها رؤاها وقرارها الذاتي.

هذه الدول كانت تحدد طرقها ومساراتها السياسية باستقلالية وبصمت ، وذلك بغية الحصول على استقلاليتهم ببطء في القرن الخامس عشر.

هذه الدول تبنت المذهب البروتستانتي بعد فترة وجيزة بتأثير حركات إصلاحية حدثت بها ، وسلكوا طريقاً مختلفاً عن الدول الأوروبية الجنوبية.

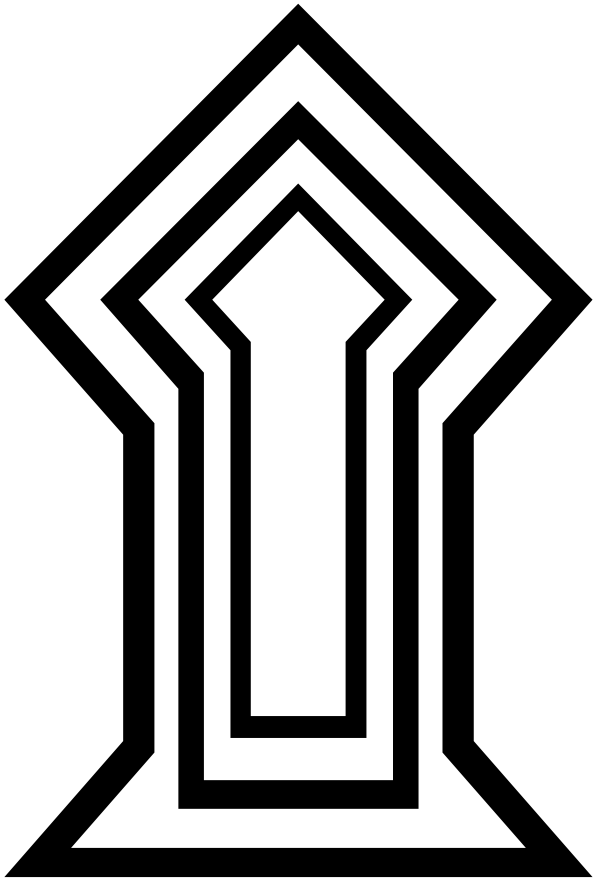

ب- التطورات التقنية

المسحوق

المسحوق الجديد (البارود) الذي هو مخترع الصيني كان يستخدم في الألعاب النارية ، وفي القرون اللاحقة تم استخدامه في الأسلحة النارية.

في القرن الرابع عشر ظهرت البنادق والمدافع البدائية،وتطور وتوسع استخدامها بعد ذلك في الجغرافيا العالمية ، ومما لا شك فيه بأن أقوى مثال لأهمية "المدفع" في الحروب هو فتح القسطنطينية.

لم تستطع أسوار الإمبراطورية البيزنطية – التي لم تستطع أي قوة المسمس بها طوال قرون طويلة – أن تقف أمام القائد الفذ السلطان محمد الفاتح ، الذي أطلق عليهم مدافعه الكبرى التي لم تكن معهودة في عصرها.

الأوروبيون أخذوا المسحوق بعد ذلك عن طريق المسلمين الأتراك ، فنحن نعرف جيداً أنهم تعلموا أشياء كثيرة من العالم الإسلامي في غضون الحروب الصليبية (١٠٩٥-١١٩٧)، و مصدرهم الثاني للحصول على المعلومات والبيانات المتعلقة بالمشرق الإسلامي كان من " الدولة الأموية في الأندلس".

المسحوق الجديد حظي بأهمية بالغة بعد ذلك ، خاصة في مجال استخدام المدافع والبنادق في الحروب ، فالمدافع والأسلحة النارية المتعددة لعبت دوراً بارزاً في تغيير الواقع في أوروبا ، فبعضها أدى إلى تدمير النظام الإقطاعي في أوروبا ، وظهور الدول المركزية و تقوية الممالك أيضا.

البوصلة

البوصلة كانت تعرف من قبل الصينيين و المسلمين منذ القدم .

وهي آلة تفيد في مجال تحديد الجهات والمسارات في البحار والمحيطات ، والدراسات الجارية في مجال استخدام البوصلة في بدايات القرن الخامس عشر – على سبيل المثال – أوجدت قراءات جغرافية ومعرفية جديدة ،

فبفضلها وجدت دراسة زاوية انحراف كرستوفر كولومبوس في المحيطات وما تلاها من اكتشافات جغرافية ، وأصبح الإبحار أسهل من ذي قبل.

كما تم بعد ذلك صنع السفن المتينة و الضخمة بالمقارنة مع الماضي، وتطويرها بناء على متطلبات الإبحار المستجدة حينها .

الورق و الطباعة

كان الورق معروفاً بمختلف أنواعه منذ العصور القديمة في مراكز الحضارات، ومنها على سبيل المثال الصين ومصر والعراق.

تم تطوير أنظمة الاستفادة من الورق في عهد الحضارة الإسلاميةبصورة جديدة ، أما في بدايات العصر الحديث فتسارعت عمليات صناعة الأوراق وتشكيلها وتنوعت مجالات الاستفادة المعرفية منها في مختلف المجالات.

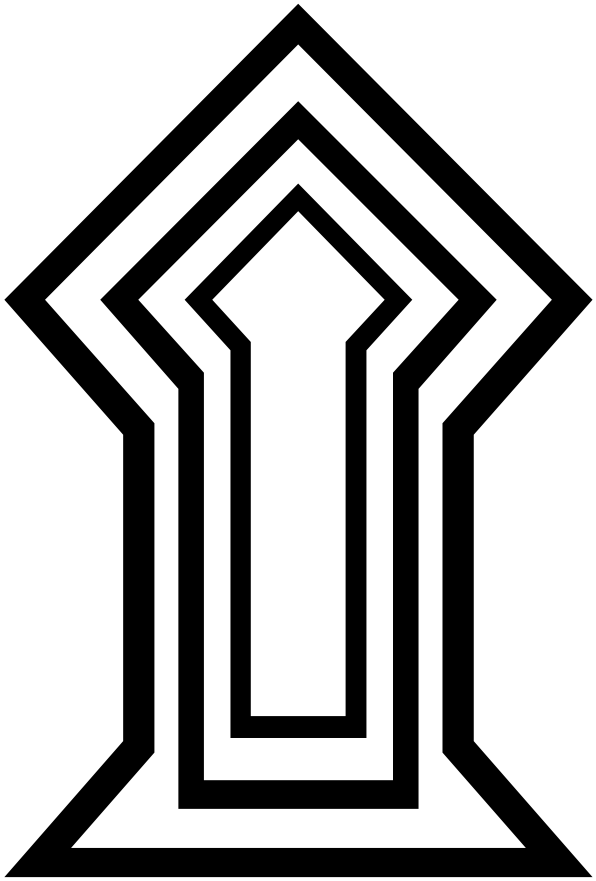

ج- الانتشار الأوروبي

- أسباب الانتشار والتوسع

من أبرز أسباب استمرارية التوسع الأوروبي : تلك الاكتشافات الجغرافية للأوروبيين طوال القرن الخامس عشر، وقد ساعد على ذلك :

1 - بدء استخدام البوصلة وتطور المعلومات الجغرافية .

2 - وقوع الصين و الهند (طريق الحرير و البهارات التاريخي) تحت سيطرة المسلمين .

٣-سيطرة المسلمين الأتراك على البحر الأسود و البحر الأبيض المتوسط .

٤-الضيق الاقتصادي الذي عصف بأوروبا ، بسبب تزايد الفقر و نسبة السكان في الدول الأوروبية .

أما الدول الشرقية فإنهم كانوا يعيشون في قمة الترف والثراء على المستوى الفردي والعام .

٥-رغبة الأوروبيين في الخروج من القارة الأوروبية المغلقة ، والتعلم والاستفادة من الفرص المتاحة على مستوى العالم ، إضافة إلى أهدافهم الكبرى المتمثلة في نشر المسيحية أيضاً.

الاكتشافات:

اكتشاف أمريكا

تم اكتشاف هذه القارة الأمريكية في عام ١٤٩٢ من قبل بحار جنوي معروف، وهو كرستوفر كولومبوس بمساعدة الملك الإسباني في ذلك الوقت ، وبتوفير سفنه الملكية لتحقيق أهداف هذا الاكتشاف الجديد .

الإسبان والبرتغاليون من أوائل الدول التي حرمت من التجارة حول البحر الأسود و البحر الأبيض المتوسط، لا سيما مع سيطرة المسلمين أولاً والأتراك ثانياً على هذه المناطق .

بهذه السيطرة على البحار من قبل المسلمين ، لم تعد هاتان الدولتان تقومان بالتجارة البحرية إلا مع البنادقة والجنويين.

ولهذا كان الإسبان والبرتغاليون يريدون أن يجدوا لهم سبلاً حديثة ، وخيارات بديلة ، كي يحصلوا على ‘‘ثروات الشرق’’ التي عرفها وعاشها عهد ماركو بولو ، و سال لها لعاب الأوروبيين ، وبفضله وصلوا إلى الهند و الصين.

كريستوفر كولومبوس تبنى فكرة " أن الأرض دائرية الشكل " وهي نفس الفكرة التي طرحها الجغرافيون المسلمون رفضا لرؤية المسيحيين بأن العالم مسطّح و في قلبه القدس.

الغريب في الأمر أن كريستوفر كولومبوس حينما وصل إلى القارة الأمريكية لم يعرف أن هذه قارة جديدة ، بل ظن أنه وصل إلى أطراف الهند.

أما في عام ١٥٠٧ فقد قام البحار الإيطالي أمريكو فسبجي بعدما تجول في البقعة الجغرافية التي وصل إليها كولومبوس ، وأعلن أن هذه البقعة الجغرافية المكتشفة ليست الهند ،بل هي قارة جديدة ، وقد أطلق على القارة اسم أمريكا نسبة إليه .

تلاحقت بعدها الأحداث ، فقد ذهب فرناندو كورتيز الإسباني في عام ١٥١٩ إلى المكسيك ، وتغلب بقوة السلاح على من يعيشون هناك ، أي من يعرفون باسم (الأزتكيون) ، و مع هذا فقد أخذ الذهب و الفضة منهم ورفعهم إلى السفينة و حملهم إلى إسبانيا للعمل فيها كعبيد ، وبعد هذا التاريخ استعمر الإسبان أمريكا الجنوبية بسرعة فائقة وتوسعوا بها .

اكتشاف طريق الهند

لم يلتحق البرتغاليون باتحاد إسبانيا بل ظلوا مملكة منفصلة .

لم يكن لدى البرتغاليين فرص كسب الرزق والتطور الاقتصادي إلا عن طريق البحر ، وهذا ما دفعهم للتفكير جدياً في أن يجدوا طريق الهند مثل الدول الأوروبية الأخرى ، لأن السلع التجارية في الصين والهند كانتا مهمتان بأوروبا في تلك القرون، وتحقق فرقاً حقيقياً في المعادلة الاقتصادية للبلدان ، وكان يتم الحصول على الأرباح العالية بفضلها.

لقد عرف البرتغاليون سواحل إفريقيا الغربية بدراسة معمقة وتخصصية من الأمير هنري الذي يهتم بالبحرية وعلومها وعالم الاستكشافات ، وقد وجد الطرف الجنوبي من إفريقيا نتيجة إنجراف سفينة " برتلمي دياز " في عام ١٤٨٧م .

ولأن هذا الاكتشاف المميز يعبر عن أمل حقيقي لدى الأوروبيين ، فقد سموا هذا الجزء الجغرافي المكتشف باسم : طرف الأمل.

وصل البحار البرتغالي " وصكو دو غاما " إلى المحيط الهندي مرورا بطرف الأمل ، ومن ثم استمر في البحث والإبحار حتى وصل إلى الهند، وقد أخذت البرتغال زمام المبادرة في التجارة مع الهند في تلك الفترة .

ولكن الظروف تغيرت جداً بعد ذلك ، لا سيما بتوسع الدولة العثمانية ، فبإلتحاق مصر إلى الدولة العثمانية في عام ١٥١٧ وسيطرة الدولة العثمانية على طريق أوروبا إلى الهند ، نال طرف الأمل الأهمية الكبيرة والبعد الاستراتيجي الحقيقي المؤثر .

التجوال حول العالم

كان الأوروبيون يودون أن يذهبوا تجاه الغرب دائماً وهذا بسبب إغلاق الطرق الشرقية عليهم ،وحتى بعد اكتشاف قارة أمريكا استمروا في دراساتهم وأبحاثهم وترحالهم .

بدأ البحار البرتغالي "ماجيلان" يأخذ طريقاً بحثياً جديداً بدعم من الإمبرطور الألماني " شارلكن " في عام ١٥١٩م .

وبسبب تغطية جبال الشمال بالثلج فقد سافر عن طريق سواحل جنوب أمريكا ، ووصل إلى الفليبين مرورا بمضيق مجلا والمحيط الأطلسي أيضا.

بعد أن قتل مجلان السكان المحليين هناك وأسهم بحرب إبادة عرقية مع الجند المرافقين له ، أكمل القبطان " دال كانو " سفر مجلان ، ورجع إلى إسبانيا في سنة ١٥٥٢م.

٣- نتائج الاكتشافات

الاكتشافات الجغرافية أتاحت النتائج المتعددة أمام الدول التي قامت بها ، وكانت لها نتائجها الاقتصادية والعلمية والسياسية أيضا.

تعرف الناس إلى طبيعة وجغرافيا العالم نتيجة الإكتشافات الجغرافية ، ومن خلالها وجد ترسيم المحيطات والقارات الجديدة والدول الجديدة و الطرق التجارية المستحدثة .

وقد تغيرت طرق التجارة الصينية و الهندية (طريق الحرير والبهارات) ، وفقدت مدن إيطاليا قيمتها وحظيت كل من موانئ لزبون وروتردام وبورضو ولوندرا بأهمية كبيرة، وهو ما عنى تحول النفوذ والقوة والسيطرة في تلك الدول بشكل كبير .

تجدر الإشارة هنا إلى أن الدول الأوروبية حصلت على السلع الصينية والهندية بعد ذلك بعيداً عن مواقع سيطرة المسلمين ، و لم يكن بالإمكان إعادة القيمة الاقتصادية والاستراتيجية للدول الإسلامية والبحر المتوسط إلا بعد عصور طويلة ، وتمثل ذلك بفتح قناة السويس الاستراتيجية في سنة ١٨٦٩.

البرتغاليون والإسبان و البحارة الإيطاليون(مثل كولومبوس وأمريكا وسبوجي) الذين أنجزوا مهمات كبيرة في هذه الدراسات لم يستطيعوا أن يستفيدوا من نتائج الاكتشافات بالشكل الأمثل ، فقد تحرك البريطانيون والفرنسيون والهولنديون وإغتنموا هذه الفرصة جيداً.

تم تقسيم أمريكا إلى قسمين وبينما أخذ البريطانيون شمال أمريكا ، أخذ الإسبان جنوبها ، وتم تعبيد قبائل الهنود الحمر المحلية أو محوهم في حملة استئصال شاملة .

الدول الأوروبية أنتقلت نقلات نوعية بعد هذه الاكتشافات، سواء كان ذلك من خلال الأرباح والمستحقات الاقتصادية المتحصل عليها مع الزمن ، أو من خلال الاستيلاء على الكنوز المدخرة في الدول المستعمرة ونقلها جميعاً إلى أوروبا ، وهو ما عنى زيادة غير طبيعية في نسبة الثراء في أوروبا.

على سبيل المثال :

انتاج الفضة في أوروبا تجاوز ٣٠٠ ألف كيلو إعتباراً من عام ١٥٤٥م ، مع إكتشاف المعادن والفضة بجنوب أمريكا ، بينما كان إنتاج الفضة يتم بمعدل ٢٠٠ ألف كيلو على الأكثر بين عامي ١٥٤٤-١٥٢١م في أوروبا.

كما أن الدول التي وجدت نتيجة الاكتشافات والمجتمعات المكتشفة وعقائدهم وحضاراتهم كان لها تأثير كبير على الأوروبيين، وعلى نمط معيشتهم ،فحتى على مستوى البهائم والنباتات والمنتجات التي لا توجد في أوروبا بدأت تنتشر أولاً في أوروبا وبعدها في كل أرجاء العالم.

وكمثال على ذلك : تم جلب بعض النباتات من أمريكا ، ومن ثم انتشرت في العالم أجمع ، وأهم النباتات المجلوبة من أمريكا كانت:

- التبغ
- الطماطم
- البطاطس

تم الحصول على المعلومات الجديدة والهامة للإنسانية كذلك نتيجة تحديد المعارف وتوسعها .

آثار الاكتشافات على المشرق الإسلامي

هناك أضرار بالغة للاكتشافات الجغرافية نالت الأمم الشرقية بشكل عام ، والدول الإسلامية والدول التركية في نفس الوقت ، فقد حدث انقلاب نوعي في التوازنات ومواقع القوى .

التغير الحادث في طرق التجارة للصين والهند قد وضع حداً لوفرة المنتجات وتنوعها في الدول التركية والإسلامية التي تستفيد من تلك التجارة ، كما أثر بصورة مباشرة على اقتصادها العام .

المتغيرات الاقتصادية الناشئة تلاعبت بالموازين الاقتصادية فعلياً ، فبينما تفقر الدول الإسلامية والدول التركية بعد افتقادهم للسيطرة على ممرات الطرق الاقتصادية العالمية ، باتت المحافظة عليها في وضعها الراهن أمراً صعباً، وبات الواقع الاجتماعي والسياسي في حالة غير مستقرة.

على سبيل المثال لا الحصر ، لم تستطع خانات تركستانية خاصة أن تواجه القوى الروسية المتوسعة، وضعفت يوماً بعد يوم ، مما أدى إلى ذوبانها وضعفها الشديد .

إتخذت الدولة العثمانية سلسلة من التدابير ضد محاولات حصول البرتغاليين على الهند والطرق المؤدية لها في فترة السلطان القانوني ، وهو ما أدى إلى نشوء نزاعات مسلحة بينهم وبين البرتغاليين الذين حاربوا في جبهات متعددة ، منها المغرب ، والمحيط الهندي .

وبرغم المحاولات المستمرة من قبلهم للسيطرة على البحار وطرق التجارة ، إلا أنهم لم يستطيعوا الوصول إلى المحيط الأطلسي ، حتى في ظل خوض الحروب المستمرة مع الإسبان للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط.

كان لحروب الدفاع والحماية التي خاضتها الدولة العثمانية على طول سواحل جنوب وشمال إفريقيا دورها الفارق ، فقد جهزت أساطيلها وخاضت الحروب ضد سيطرة الأوروبيين على شمال إفريقيا والبحر المتوسط، كما انتشرت أساطيلها الضاربة في نهاية القرن السادس عشر حتى وصلت إلى إندونيسيا.

ومن جهة أخرى ، فقد وصلت الدولة العثمانية إلى نهر إيديل (فولغا) لمواجهة عوامل ومسارات التقدم الروسي في تلك المناطق ، وقد جعلت هذه الحالة الدولة العثمانية "الدرع الشرقي" أمام الأوروبيين ، وهو ما جعلهم يناصبونها العداء بصورة مغايرة ، وتكبدت الدولة العثمانية أضراراً بالغة نتيجة الحملات التي استهدفتها من الشرق والغرب ، وتعرضت لهجمات الأوروبيين وحلفائهم حتى انهيارها.

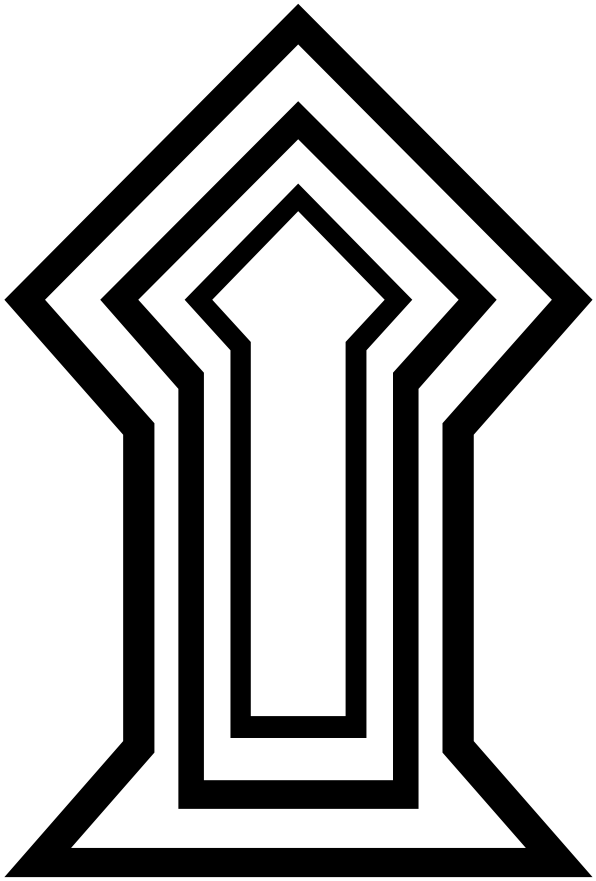

ج- أسباب النهضة و انتشارها و نتائجها

١- النهضة و أسبابها

النهضة هي "الولادة الجديدة" والعهد الجديد المستحدث .

بدأت النهضة في الدول الأوروبية مثل إيطاليا أولاً ، ومن ثم فرنسا ، وألمانيا ، وبريطانيا.

والنهضة تعني وتشمل مجالات الأدب والفنون الجميلة والتطورات في مجال العلم والابتكارات والرؤى والسياسات الداخلية والخارجية أيضاً.

التطورات التي شوهدت في عصر النهضة لم تظهر تلقائياً بل ولدت كنتاج للعصر الحديث بفضل الدراسات المستمرة و الطويلة المتواصلة على مدى العصور الوسطى.

الشعراء والكتاب والفنانون الذين أحدثوا تيار النهضة قد أخذوا آثار حضارات روما القديمة واليونان القديمة كمثال، بل قاموا بأعمال أروع وأجمل منها بكثير.

يعتبر تيار النهضة وحركتها الإصلاحية الشمولية في بداية العصر الحديث من أهم العوامل في الرقي ، وواحداً من أسس الحضارة الغربية الحالية القائمة .

ولد تيار النهضة عموماً للأسباب التالية:

انفتحت القارة الأوروبية جغرافياً وأصابها الثراء الفاحش نتيجة الاكتشافات الجغرافية ، واهتموا بالعلم والفن وحافظوا عليهما ، إضافة إلى تعزيز علاقاتهم المعرفية مع الشرق الذي بدأت أثناء الحروب الصليبية أولاً ، واشتدت وتوسعت بعد فتح القسطنطينية ، ولعب العلماء الذين يعرفون مصادر اليونان القديمة و المصادر البيزنطية دوراً أساسياً في تلك الفترة ، فقد عرّفوا العالم الغربي بالقرون القديمة وحضاراتها ، ولهذا توسعت رؤية آفاق الأوروبيين شكلاً ومضموناً.

الترجمات في العالم الإسلامي مثلت منطلقاً معرفياً واسعاً للغرب ، وعلى رأسها آثار الفارابي على مدى العصور الوسطى ، وابن سينا ، وابن رشد ، وزادت من رغبة العالم الغربي بالتعرف على الثقافة الإسلامية و حضارتها والمصادر اليونانية القديمة و المصادر العبرية أيضاً ، للاستفادة من هذا الموروث الشرقي الكبير في عملية النهضة الغربية ومستوياتها المعرفية والفلسفية .

أدى ميلاد وتطور المطبعة في أواسط القرن الخامس عشر إلى تسريع مسارات وعوامل النهضة الأوروبية ، وأسهم في عملية نشرها ، كما كان بروز ونشأة الفنانين في هذه الفترة عاملاً مهما في التعريف بالنهضة ورسائلها وأنماطها.

٢- انتشار النهضة

ظهرت تيارات النهضة في ايطاليا أولاً ، وذلك لأن إيطاليا كدولة من دول البحر الأبيض المتوسط تقع في طرق التجارة العالمية منذ القدم، وكانت على تواصل دائم ومستمر مع مناطق الشرق الأوسط الذي هو مركز الحضارات القديمة ومركز الإشعاع بها .

وكانت لإيطاليا كذلك علاقات ثقافية و سياسية وتجارية مع الدول الإسلامية في المشرق الإسلامي ، بالرغم من كونها وارثة لميراث امبراطورية روما القديمة.

كما امتازت إيطاليا في تلك الحقبة بوضعها الاقتصادي الناشط ، وكانت الزراعة فيها جيدة بسبب تربتها الخصبة ، وهو ما حقق لها قدرات اقتصادية وتنموية فاعلة لا سيما في ظل اشتغالها بالتجارة، وهو ما أوجد حالة من الثراء الواضح في كل من مدن فلورنسا ونابولي وجنوة وفينيسي.

كانت فينيسي مقاطعة قوية و تدار بالنظام الجمهوري ، لم تكن حقوق الإنسان موجودة ومقرة فيها كما في الدول الأخرى، ومناطق إيطاليا الأخرى كانت في نفس الوضع تقريباً.

إضافة إلى هذا فإيطاليا وروما تحديداً كانت مركزاً للمذهب الكاثوليكي التابع للديانة النصرانية ، وكان الأوروبيون يزورون تلك المدينة بكثرة ضمن السياحة الدينية مما أثرى واقعها في المجالات المختلفة .

الدول الأوروبية مثل إسبانيا و فرنسا و ألمانيا خاضوا العديد من الحروب فيما بينهم بين عامي ١٥٥٩-١٤٩٤ من أجل أن يكبحوا جماح إيطاليا ، أو للتدخل في شؤون بعضهم الداخلية ، وتأثرت الدول الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا و فرنسا .بما يسمى تاريخياً بالحروب الإيطالية.

سندقق الآن في حركات النهضة في قسمين:

أولهما :حركات النهضة في إيطاليا التي هي أول دولة ظهرت فيها النهضة .

أما الثاني : فيشمل قراءة في حركات النهضة في الدول الأوروبية الأخرى.

النهضة الإيطالية

النهضة الإيطالية بدأت في مجال الأدب و (العلوم الإنسانية) عموماً ، واستمرت في مجالات الفنون الجميلة كالرسم والهندسة و (الهيكلتراش).

التدقيق في الحضارة اليونانية وروما القديمة و الدراسات التي أجريت بخصوصها سميت بالدراسات "الإنسانية". وأول المشتهرين بهذه الدراسات الإنسانية:

- دانتي (١٣٢١).

- بترارك (١٣٧٤).
- بوكاتشيوس (١٣٧٥).

أما " الإنسانييون " أو الفلاسفة المؤسسون للنظريات النهضوية الإيطالية في القرن الخامس و السادس عشر فمن أبرزهم :

- ماكياوال(١٥٣٠).
- غيشاردن (١٥٤٠).
- آريوستا (١٥٣٥) .
- تاسو (١٥٩٥).

الكتاب المسمى ب " أمير" هو كتاب عن الإدارة الحكومية اللازمة ومستويات الفهم لأنظمة الحكم وإدارة الدول ومجالاتها التخصصية ، والملحمة المسماة ب" رولان غاضب " ، تحكي عن قصة بطل نصراني يقاتل ضد المسلمين في ربوع الأندلس.

وقد وصف تاسو في كتابه المسمى " تحرير أورشليم " أهمية وضرورة وأشكال ومبررات الاستيلاء على القدس من حكم المسلمين في الحروب الصليبية في عام ١٠٩٧.

وأشتهر تيسيان(١٥٧٦) في مدرسة البندقية، وميكلانج (١٥٦٤) وليوناردو دافنشي (١٥١٩) في المدرسة الفلورنسية ، ورافيل(١٥٢٠) في المدرسة الرومية بمجال الرسم والهندسة المعمارية وفن النحت.

وقد صنع هؤلاء الفنانين أعمالاً لا يمكن أن يتجاوزها الفنانون الأوروبيون بعد القرون المتطاولة بما حوته من معانٍ ورسائل فنية بادية ومخبوءة .

حركات النهضة في البلاد الأوروبية الأخرى

بدأت حركة النهضة في فرنسا بتأسيس فرانسوا الأول الكلية الفرنسية في عام ١٥٣٠.

كان يتم التدريس في هذه الكلية لمجوعة من المعارف والقيم والمواد الدراسية ، من أبرزها : اللغة اليونانية والعبرية واللاتينية والعربية، وهو ما يعني ميلاد جيل معبأ وواعٍ بلغات وثقافات متعددة ، وهكذا احتضنت فرنسا أفكاراً وتيارات جديدة.

الكتّاب الأساسيون للإنسانية الذين ترعرعوا في فرنسا؛ هم :

- رونسارس (١٥٨٥) .
- رابلا (١٥٥٥) .
- مونتين (١٥٩٢).
-

وقد بنى هؤلاء الكتّاب أساس اللغة الفرنسية الحديثة وآدابها ووضعوا منهجية التعليم والفهم لها ولدلالات ألفاظها ومراميها على مستوى المفردة والمعنى .

أما في الهندسة المعمارية ، فقد ترعرع معمار القصر " لور بيرلسكو " ومعمار قصر تويلري " جان بولان " في ظلال حركة النهضة ، وتشربوا مبادئها ، فكانت أعمالهم ومنشآتهم تحمل دلالات تلك الحقبة بصورة فنية واضحة ومميزة.

أما النهضة الألمانية فقد بدأت مع الحركات الإنسانية الدينية الأوروبية وتأثرت من أحداث الإصلاح السارية في أوروبا برمتها، وحاول رواد الإصلاح فيها أن يرسموا طريق النهضة الألمانية برؤية متجددة ومميزة عن الدول الأوروبية الأخرى .

رواد النهضة الألمانية الشهيرة كثر ، من أهمهم :

أرسموس (١٥٣٦-١٤٦٥) .

روكلان (١٥٢٢) .

مارتن لوثر (١٥٤٦).

أهم عمل لمارتن لوثر هو ترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية وقد كان ذلك حدثاً كبيراً وفارقاً.

وعلى الصعيد الهندسي المعماري استمر الألمان في طراز الفن الهندسي القوطي المعتمد في البداية على الفنون الجميلة ، ومن ثم واصلوا إنشاء ثقافتهم ومدنيتهم من خلال الطراز الإيطالي العصري ، ولعل قلعة " هيدل برك " هي نتاج هذا التأثير.

" ألبر دورر " هو رسام ألماني اشتهر في هذا العصر ، لمع نجمه من خلال الفنون التي أرساها في تلك الفترة والتي حملت دلالات تجديدية أثرت في الفهم والسلوك الفني العام في الدولة .

أما في بريطانيا ، فقد تجلت حركة النهضة البريطانية في مجال الأدب وفنونه المتنوعة ، وتركت بصمة واضحة في هذا المجال من خلال كبار الكتاب والأدباء الذين صدّرهم للعالم ، فقد كتب شكسبير (١٦١٦) الذي نشأ في بريطانيا في القرن السادس عشر مسرحية : (دراما و مأساة) ، وكانت له مجموعة مميزة من الصناعات الأدبية المتعددة والمختارة من تاريخ العصر القديم و من تاريخ بريطانيا أيضاً.

تم إشهار وليام شكسبير في العالم على مراحل ، فقد تم تمثيل مسرحياته أولا في الدول المسيحية ، ومن ثم في الدول الأخرى ، واشتهر بعد سلسلة نجاحاته العالمية بأعماله الرئيسة الكبرى : " هاملت " و "أوتلو " و " روميوو جوليت " .

وكذلك اشتهر " جرفنتاس" بعمل " دون كيشوت" إبان حركة النهضة الإسبانية، وظهر في الصورة أيضاً " فلاسكس" عام (١٦٦٠)..

أما حركات النهضة في دول فلمنك وفي أوروبا الشمالية فقد ظهرت بعد ذلك ، وقد كان الرسام والفنان رامبراند (١٦٦٩) صاحب بصمة واضحة فيها ، وقد اشتهر بعمل "درس التشريح" .

أما حركة النهضة في بولندا فقد ظهرت في مجال العلم والدراسات البحثية ، وبهذا الصدد فقد دمر كوبرنيك (١٥٤٣) النظام الفلكي الذي اشتهر به بطليموس ، بل وتقدم نحو فهم أفضل للنظام الشمسي.

وفي منطقة فلامان كانت النهضة ومسارات التغير قد بدأت في مجال الموسيقى.

" أرولندوا دي لاصو" (١٥٤٣) الباحث والموسيقار الفلاماني طور هذا المجال كثيراً ، وقد حصل على جائزة تقديرية من البابا ، وتم تكريمه من قبل الامبراطور الألماني نتيجة دراساته في مجال الموسيقى.

وعلى إثره سار العديد من الفنانين والموسيقيين الكبار ، وباتت أعمال الملحنين الفلامانيين منتشرة بكثرة في إيطاليا وفرنسا وألمانيا فيما بعد ، وتقدموا في تطوير الموسيقى وصولاً إلى إحداث التغيير في النمط الموسيقي في بريطانيا أخيراً.

٣- نتائج النهضة

أحدثت النهضة رؤية وفكراً جديداً في الدول الأوروبية ، خاصة في مجالات العلم والفن والأدب، وقد أوجدت شكلاً جديداً من الفهم ، ودمرت حركة النهضة الأوروبية العديد من النظريات السائدة في تلك الحقبة ، من بينها نظرية : "دراسي" ، وهي رؤية تقليدية شكلية مفرطة ناتجة عن مزج رؤى أرسطو بالمسيحية ، وهي تلك النظرية التي كانت سائدة في العصور الوسطى، وهذا ما أوجد مساحة مفتوحة في بناء التصورات والرؤى.

نقطة هامة وحساسة هنا ، وهي أنه مع نهاية حركات النهضة الأوروبية ، وانتشار مستويات متجددة من الوعي والتغير في المستويات المعرفية الشعبية ، أصبحت القارة الأوروبية تعاني من هزات كبيرة في سلطة الكنيسة ومكانتها ورسالتها، وحجم الصلاحيات الممنوحة لها، كما أن هناك مراجعات حقيقية قد تمت فيما يتصل برؤى المسيحية والإنجيل ورسائله وتأويلها ، وقراءات أخرى متعددة تم فحصها و تعليقها من جديد، وقد ولدت هذه الحالة من رحم الضغط الناجم عن حركات الإصلاح المتصاعدة .

إضافة إلى ذلك ، فقد أبرزت حركات النهضة التي شاعت في الدول الأوروبية تطورات جذرية في مجالات الحضارة والفن والعلم ، والبحث المستمر ، وكذلك في شكل وأنماط العلاقات القائمة في ظل زعامة الإمبراطورية الرومانية مع الدول الشرقية وخاصة : الدول الإسلامية .

د- أسباب التوجه نحو الإصلاح وانتشاره ونتائجه

١- التوجه للإصلاح وأسبابه

يعتبر الإصلاح في بداية العصر الحديث واحداً من أهم الأحداث المشهودة في أوروبا والتي أسهمت بالتغير الجذري في منهجية التعامل الداخلي والخارجي فيها .

يقابل مصطلح الإصلاح: التغيير في لغتنا ، والإصلاح يعني تنظيم بعض النواحي دون تغيير الأصل.

أما في المفهوم التاريخي فيفيد معنى التغيرات التي وقعت في الديانة المسيحية بأوروبا بداية العصر الحديث ، وهي تغييرات جذرية شاملة وواسعة ومتعددة التوجهات .

نتيجة الخلافات داخل الصف النصراني ، انقسمت المسيحية إلى المذهبين الكبيرين في القرن السادس عشر، فقد ولد المذهب الكاثوليكي الذي كان مركزه في روما ، والمذهب الآخر " الأرثوذكسي " ومركزه في مدينة إسطنبول.

كان البابا يمثل بسلطته رئيس النصارى الكاثوليكيين ، في حين كان البطريرك رئيساً للنصارى الأرثوذكس.

مسيحيو البطريركية الأرثوذكسية كانو يعيشون في غالبيتهم العظمى في أراضي الدولة العثمانية.

وبحسب عقيدة المسيحيين التابعين للمذهب الكاثوليكي ، فإن البابا هو النائب الذي ينوب عن عيسى – عليه السلام – على الأرض والذي حلّ محل سان بيتروس.

الإداريون في الدولة والحكومات المتعاقبة والشعب المسيحي برمته كانوا يحترمون الباباوات الذين يعيشوا في قصر الفاتيكان بمدينة روما – وما زالوا يعيشون هناك كتقليد سائر حتى يومنا هذا – ، وجميع الكاثوليكيين يعتقدون أن البابا منزّه عن الخطأ والزيف في كل ما يفعله ولا يخطئ أبداً.

ونظرا لأنهم نواب النبي عيسى – عليه السلام – وفق المذاهب النصرانية ، فقد كانوا يغفرون ذنوب المسيحيين الخاطئين ، وقد سادت ثقافة أنهم أصحاب الصلاحيات بذلك من قبل التفويض الذي ينالوه من سيدنا عيسى عليه السلام ، ويشار هنا إلى أن من يرتكب جريمة ضد الباباوية أو ينتقص من قدرها ومكانتها قد يتم إخراجه من الدين واعتباره كافراً وزنديقاً.

إلا أنه وكنتيجة لحركات (الإصلاح) التي حدثت ضد هذه السلطات التابعة للبابا والمنظمات الكنسية التي تعمل لصالح البابا في بداية العصر الحديث ، ووجود تيارات رافضة لهذا النمط من الهيمنة والتسلط على القرار السياسي من قبلهم ، فقد ظهر مذهب مسيحي جديد بإسم "البروتستانية" ، وبات هذا المذهب يتوسع جغرافيا بشكل لافت .

هنا ، وبعد هذا الاستقراء ، يمكننا أن نعدد الأسباب الرئيسة في ظهور حركات الإصلاح في أوروبا :

في بداية العصور الوسطى بدأت الكنيسة الكاثوليكية تتشوه في أذهان الناس من خلال الصورة الظلية التي رسمتها ، وازدادت الاضطرابات في القرن السادس عشر بصورة لافتة .

شعر الشارع الغربي بأن نظام البابوات بات عنواناً للترف والفساد ، فهم يعيشون مثل الملوك ويبنون القلاع والقصور ، ويجمعون المال من المسيحيين وينفقونه للمتعة الشخصية لا على المصالح العامة .

وأثناء زيارة لوثر لروما في عام ١٥١١ فقد تعجب بشدة ووقف مذهولاً أمام التناقض بين المبادئ الأولى والأساسية للمسيحية بالفاتيكان وبين الثروة الحاصلة والفراغ الروحي السائد في المجتمعات المسيحية ، فالرهبان والراهبات الذين يجتمعون في الأديرة كانوا – وفق رؤيته – " ينفقون مال الشعب لأنفسهم وليس في سبيل الله" وهذا ما قد تأكد في أعين الناس.

هنا ظهرت شهادة إعفاء من الخطيئة أولاً لإعادة إنشاء كنيسة سان بيترو في روما وهو أمر له دلالاته .

هذه الوثائق من الإعفاءات من الذنوب باتت تعطى للذين يندمون على خطاياهم ، ولمن يعطون النقود للكنيسة بغية دعمها ، وهكذا يصدّقون أنهم ينجون من جرمهم وخطاياهم .

هذا معناه وجود تغيير في الوضع العقدي والفلسفي على نحو متزايد ، وأصبح "التخلص من الخطيئة" شيئاً يشترى بالمال بعيداً عن البعد الروحي والتغييري ، ومعناه أيضاً : أنهم تركوا فكرة التخلص من الخطيئة عن طريق "الإيمان".

أما رجال الدين مثل لوثر وكالون ، فقد كانوا يدافعون عن فكرتهم العقدية القائمة على مبدأ أن طريق التخلص من الخطيئة ب"الإيمان" فقط ، وعززوا فكرة : "لن يستطيع أحد أن يدخل بين الله و عباده".

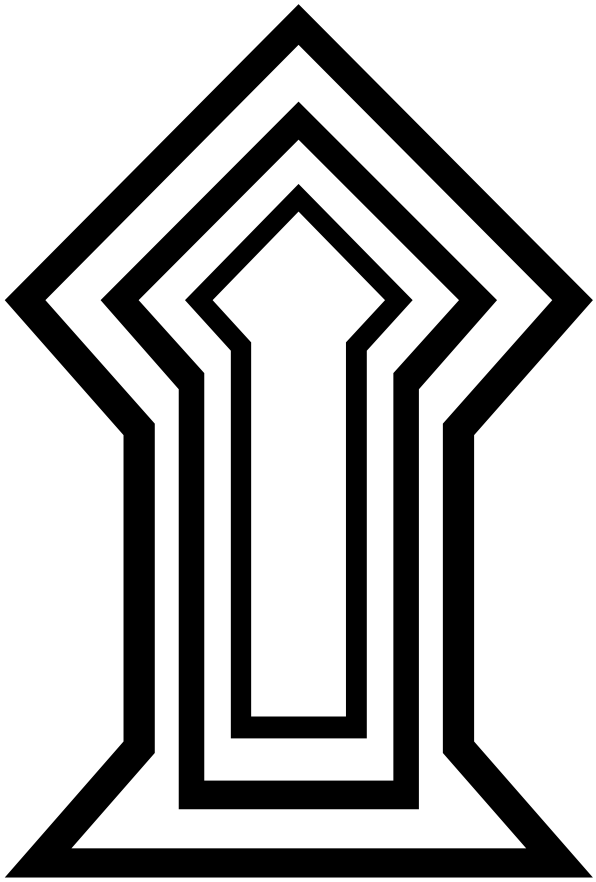

٢-مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦)

ولادة البروتستانية و انتشارها

كان مارتن لوثر ابن حطاب بسيط يعيش حياته المتواضعة ، وقد أصبح أستاذاً في (اللاهوت و علوم الدين الكنسية).

أثبت لوثر أفكاره ومعتقداته التي آمن بها في بيان يعلن عن التصرفات الخاطئة في العالم الكنسي ، وخطايا الفاتيكان بمختلف القضايا التي يعيشها الناس ، خاصة في أندلجانس ، وعرفت بعد ذلك باسم : (وثائق التخلص من الخطايا) في عام ١٥١٧.

الفكرة الأساسية لمارتن لوثر كانت بأنه : " لن يستطع أحد أن يدخل بين الله و عبده" ، ولا يغفر ذنوب العباد إلا الله." وكان يؤمن بأن "الإيمان كافٍ للنجاة من العذاب في الآخرة" .

وبعد هذه التوجهات الجديدة لدى لوثر وأتباعه ، حظره البابا ليون العاشر واعتبره شخصاً متناقضاً مع القيم الدينية التي تؤمن بها الكنيسة ، وهو ما استدعى أن يرد لوثر بقوة وصراحة ، فقد أحرق لوثر وثيقة الحظر أمام الشعب والجمهور في خطوة واضحة تدل على المواجهة والمفاصلة ، و أصبح بهذا الفعل أول من يرفض علناً قرارات الكنيسة والبابا لأول مرة في تاريخ المسيحية(١٥١٩).

في هذه المرة راجع البابا امبراطور روما- جرمان المقدس شارلكن ، وهو ممثل القوة السياسية للبابوية ، وقد حكم على لوثر بالإعدام نتيجة ردّته وعصيانه ، إلا أن أمير سكسونيا أخفاه عن الأنظار ،وهو ما أتاح لمارتن لوثر أن يقوم بترجمة الإنجيل إلى اللغة الألمانية على مدى العام الذي اختبأ فيه من عيون البابا وقياداته .

ولادة البروتستانية

أهم مؤيدي أفكار مارتن لوثر كانوا أمراء ألمانيا الذين كانوا على خلاف مع إمبراطورية ألمانيا ، و كان عددهم ما يقارب خمسمائة شخص.

دعمت هذه الدويلات العصيان على سلطة الإمبراطور الحاكم . أوصى لوثر الأمراء بأن يقطعوا علاقة الكنائس المحلية مع روما ، وأن يقوموا بإنشاء الكنائس المتفرقة في كل مكان للقضاء على قوة الكنائس ومجلس الكنائس الأعلى.

وفي نفس الوقت كان لوثر يدافع عن فكرة استعادة وسحب الأراضي الواسعة الخاضعة تحت أيدي الكنائس، وقد شهدت ألمانيا الحركات الشعبية الاعتراضية والرافضة للخضوع للسلطات المركزية اعتبارا من سنة ١٥٢٥.

بعد ذلك ، تم نهب السلع المتوجهة إلى الكنائس ، وقام الأمراء باحتجاز السلع للتأثير على قوة ونفوذ الكنيسة، على إثر ذلك بدأت الحروب بين الامبراطور شارلكن والأمراء.

أهم وأبرز الأمراء المنتفضين في مواجهة الامبراطور كانوا من أمراء سكسونيا و براندربورق و بلاتينا. وتوسعت الاحتجاجات في المدن ، وقد كان لإصدار الأمير لوثري القرار الذي أخذه شارلكن في عام ١٥٢٩ لعدم انتشار مذهب مارتن لوثر وتوسعه أكثر فأكثر ردة فعل عكسية.

بعد ذلك أخذت كلمة "الاحتجاج" وصفاً جديداً ، فقد أصبحت ملازمة لاسم المذهب الجديد المعروف اليوم باسم البروتستانية ، والتي لم يجد قادة الكنائس بداً بعدها من المواجهة ، من ثم شنوا الحروب التي استمرت مدى خمسة و عشرين سنة، و في النهاية تم عقد اتفاق أوكسبورك في عام ١٥٥٥م الشهير.

بموجب هذا الاتفاق ، فقد اتفق الأمراء و الامبراطور صارلكن على مجموعة من البنود التوافقية، وتم الاعتراف بالبروتستانية شرعياً وبصورة رسمية ،أما الأمراء فقد وافقوا على أنهم المسؤولون عن الكنائس التي تقع في بلادهم، وقد صرحوا بحرية اعتناق واختيار المذهب الذي يريده أي شخص مسيحي .

انتشار حركات الإصلاح

كان أهم عالم دين في حركات الإصلاح بعد مارتن لوثر هو " كالون" الفرنسي (١٥٦٤-١٥٠٠).

و قد تصرف كالون بمجموعة من التصرفات القاسية تجاه الكنيسة الكاثوليكية، وام يعترف بأي شيء يرد من قبل الكنائس العليا إلا الإنجيل، وقد كان يدافع عن نفس أفكار مارتن لوثر ، وقد شاع مذهبه وانتشر من جنورة (سويسرا).

وجد كالون من يؤيده في أفكاره في كل من سويسرا وأسكتلاندا وهولاند وفرنسا.

أما بالنسبة لفرنسا ، فقد كانت تتبع لسياسة كاثوليكية متشددة ،وبناء على ذلك ، فقد تم منع مذهب كالون فيها ، واتخذت بحق من يواليه إجراءات عقابية.

وقد حدثت العديد من المناكفات والاشتباكات بين مؤيدي كالون والكاثوليك في مناطق متعددة في أوروبا، وأكثر الاشتباكات دموية هي مجزرة كبيرة وقعت ضد أنصار ومؤيدي كالون في باريس وما حولها قبل ليلة عيد المسيحيين بتاريخ ٢٥ آب ١٥٧٢م ، والذي قام بهذه المجزرة هو ملك فرنسا شارل التاسع ،وراح ضحيتها الكثير من الأبرياء ، حيث قتل عشرات الآلاف من الناس أطفالاً و نساءً وشيوخاً ،وبعد ذلك قاموا بمجازر متشابهة مع بعضها البعض لترويع الناس وتنفيرهم من مذهب كالون.

إلا أنه ونتيجة للثبات والقبول الشعبي لكالون ومؤيديه في مواجهة الهجمة ضدهم ، فقد تم تشريع المذاهب والرؤى الخاصة به بقرار معروف باسم : مرسوم نانت في سنة ١٥٩٨م .

وفي تحول كبير ، تبنى ملك بريطانيا الثامن المذهب الجديد ، وذلك انطلاقاً من سوء علاقته مع قيادة المجامع الكنسية ومع بابا الفاتيكان.

كان الملك يريد أن يطلق زوجته ، و يود الزواج من امرأة أخرى ، إلا أنه لم يستطيع أن يستأذن من البابا لأن الطلاق ممنوع في المذهب الكاثوليكي، فأخذ الكنيسة من سيطرة البابا ليسيطر عليها وعلى قرارها السيادي بنفسه ، ومن هنا فقد تأسس المذهب الأنجليكي كفرع من فروع المذهب البروتستاني (١٥٣٤) م.

في هذه المرحلة كان الاسكتلنديون قد انفصلوا عن سلطة البابا ، وأسسوا مذهب "بريس بتريان"وفقا لرؤيتهم الخاصة، وهو نمط من المذهب البروتستاني، كما تبنت كل من الدول الأوروبية الشمالية مثل السويد والنرويج والدنمارك البروتستانية مع مرور الزمن.

٣-نتائج الإصلاح

كُسرت الوحدة المذهبية في أوروبا، وتفككت عوامل الوحدة الدينية ، وظهرت المذاهب المختلفة ، مثل البروتستانية والأنجليكية والكالفينية و البريس بتريانية واللوثرية إضافة إلى الكاثوليكية، وقد تفرقت السلطة الكاثوليكية بدورها ، وأسست الكنيسة الكاثوليكية المحاكم الجزائية المشددة والتي كانت تسمى "أنكزيسيون- مفشي السر" أو المخبرون السريون.

الخوف الناجم عن المحاكم الكاثوليكية والرعب الذي ساد أوساط دول كثيرة من ظاهرة المخبرين السريين حل مشكلة التفكك ولو ظاهرياً.

ولتعزيز سيطرتها وسطوتها ، قامت الكنيسة الكاثوليكية بترتيبات خاصة وتقدمت في خطوات إصلاحية ، كما حاولت جاهدة نشر المذهب الكاثوليكي في عام ١٥٣٤ من خلال تأسيس أكبر طريقة مسيحية في العالم وهي طريقة جزويت أو (جماعة عيسى).

الكنيسة الكاثوليكية حاولت توقيف وإقصاء وتشويه المذاهب الجديدة قسراً وبلغة القوة والبطش والمحاكم التعسفية من جهة ، وقامت بعدد من النشاطات والفعاليات التي تظهرها بمظهر السيطرة من جهة أخرى ، ولعل من أبرز هذه الفعاليات والأنشطة :

- المساعدات الاجتماعية .

- افتتاح المدارس .

- تأسيس الأديرة .

- إنشاء المشافي.

وبفضل الدعاية المكثفة وتوجيه وسائل الإعلام التابعة لها في تلك الفترة لم تفقد مؤيديها تماماً ، وحافظت على حضورها على مسرح الحدث.

في نهاية حراك الإصلاح استقرت إسبانيا واستراليا وبولند وفرنسا والبرتغال وأمريكا الجنوبية ودول أخرى مثل هنغاريا في المذهب الكاثوليكي، في حين تبنت ألمانيا و بريطانيا ودول أوروبا الشمالية وأمريكا الشمالية البروتستانية.

الجدير بالذكر هنا ، أن هذه الأحداث والاصطفافات المذهبية في أوروبا لم يكن لها تأثير على المسيحيين الأرثوذكس، والذين كانوا ينعمون بنوع من الاستقرار الديني والمعرفي في المشرق عموماً وفي اسطنبول تحديداً التي احتضنت حضورهم.

٤- المسيحيون في الأراضي العثمانية و الإصلاح

كان المسيحيون الذين يعيشون في الدولة العثمانية هم من المذهب الأرثوذكسي في غالبيتهم .

في أجواء الإصلاح وحركاته الآخذة بالتوسع وظهور المذهب البروتستاني الذي فهم على أنه ضد المذهب الكاثوليكي المهيمن على أوروبا بزعامة "البابا"، كانت الدولة العثمانية جغرافياً بمنأى عن هذه التحولات، ولهذا لم يتأثر مسيحيو الدولة العثمانية بالأحداث الإصلاحية والتضاربات الفكرية والفلسفية التي سادت في أوروبا في تلك الحقبة .

والسبب الثاني والهام : هو عدم تدخل الدولة العثمانية بالمعتقدات الدينية المسيحية ونمط حياتهم الذي كانوا يطبقونه في الدولة العثمانية ،وذلك انطلاقاً من فهم العثمانيين لتوجيهات الدين الإسلامي الحنيف والسسياسة الشرعية مع أهل الكتاب والذميين .

وأيضا كانت الدولة العثمانية تحفظ المسيحيين الأرثوذكس من ضغوط كاثوليكيي أوروبا الوسطى، وكانت تسعى على الدوام لإبقاء الحياة الدينية لهم بعيدة عن التجاذبات العقدية التي تجري في أوروبا والجغرافيا العالمية.

ولعل البطريك الأرثوذكسي في اسطنبول والذي كان حائزاً على الحقوق المميزة والمتعددة التي أعطيت له من قبل السلطان محمد الفاتح خير مثال على ذلك ، فقد كان للبطريرك الأرثوذكسي في إسطنبول عاصمة الخلافة مكانة محترمة عند الدولة العثمانية وفي أوساط المجتمع .

نص تاريخي للقراءة

مساعدة الدولة العثمانية للمذهب البروتوستانتي

بحث فلاندر ومؤيدو المذهب اللوثري عن يد العون من الخارج بسبب العنف الممارس تجاههم من قبل البابا والفاتيكان، وفي ذلك الحين ، وبقرار من المجلس الأعلى لديهم ، وجدوا بأن السلطان العثماني سليمان القانوني الذي هو على خلاف كبير وصراع محتدم مع شارلكن هو وجهتهم الأهم ، وطلبوا منه المساعدة للحفاظ على معتقداتهم وفكرهم ومذهبهم .

بالرغم من عدم وجود الرسائل المبعوثة والمراسلات بين الطرفين ،إلا أنه قد يعرف من الردود السلطانية والسياسات العامة أن الدولة العثمانية قررت التدخل غير المباشر ، لا سيما وأن اللوثريين لا يعبدون الأصنام وأخرجوا الأصنام والتماثيل من الكنيسة الخاصة بهم ، و أيضا كانوا في معركة واضحة ومفتوحة مع بابا الفاتيكان وسطوة وسيطرة الكنيسة الكاثوليكية التي تكن العداء للمشرق الإسلامي برمته.

عندئذ ، أبلغت قياداتهم من خلال شخص يدعى " محرّم " ، أن الدولة العثمانية ستساعد من البر والبحر وستدعم حقهم في معتقدهم .

وكتبت في الرسالة إشارات أمنية لضمان أن من يحمل الرسالة سيتم تحديد هويته بدقة منعاً للتسريب أو التلاعب بالرسالة أو الفحوى أو المرسل، وفي الأوصاف المرفقة للرسالة عن حامل الرسالة ، أن به جرحا تحت ثديه الأيمن وعرقوب قدمه اليسرى ، وذلك كحماية وضمانة أمنية لوصول الرسالة من خلال حاملها.

هنا ، أنقل بعضاً من الرسالة موجزاً.

"إلى السادة وأبناء السادة اللوثريين ومن يتبع مذهب اللوثري في فلاندرا واسبانيا.

عندما تصل رسالتنا إليكم وسمعتنا ذات صيت في الحكم والإدارة ومنتشرة بين الحكام بوجه الأرض ، وقد منحنا أن نكون حكاماً على البلدان المتعددة. إننا نؤمن ، والأمة الإسلامية تؤمن بأن لا إله الله وأن محمداً رسول الله ، ونحن مستعدون لأن ندعوكم إلى الدين الحق منجاة من أيدي الظالمين، ونسعى لدعمكم من البر والبحر حتى ولو أدى ذلك لشن الحرب ضد البابا الذي لا يعترف بوحدة الله ويسند للسيد عيسى أنه إله ، ويوجه الناس إلى الطريق الضال ، ويتسبب في سفك دماء عديد من الناس، ومن المعروف أنكم لا تعبدون الأصنام وتخرجون الأصنام والهياكل والنواقيس من الكنيسة وتؤمنون بوحدة الله وأن السيد عيسى هو نبي الله.

في الواقع كنا نود أن نعبر عن صداقتنا وودنا لكم من زمن طويل.

ممثلنا "محرم" موجود حالياً في العاصمة ، وهو يعرف لغة ووضع الجهة المقابلة ويعرف مدى صداقتنا مع سادة اللوثرية وأتباعها جيداً. عندما تريدون إنزال الجنود على ساحل العدو مع بدء الحرب يمكنكم أن ترسلوا رجالكم الموثوقين إلى ممثلنا المذكور اسمه للتعبير عن حالكم وتوجهاتكم .

لممثلنا جرح تحت ثديه الأيمن وعرقوب قدمه اليسرى. ووفقا لذلك الرجاء الانتباه كي لا تنتقل مرسوماتنا السلطانية ومراسلاتنا إلى أيديهم فيوقعوا الفتنة ويضروا الصداقة فيما بيننا.

والسلام..."

(هذه الرسالة مؤرشفة لدى الأستاذ البروفيسور إسماعيل حقي أوزون تشاريلي/كتاب "التاريخ العثماني".)

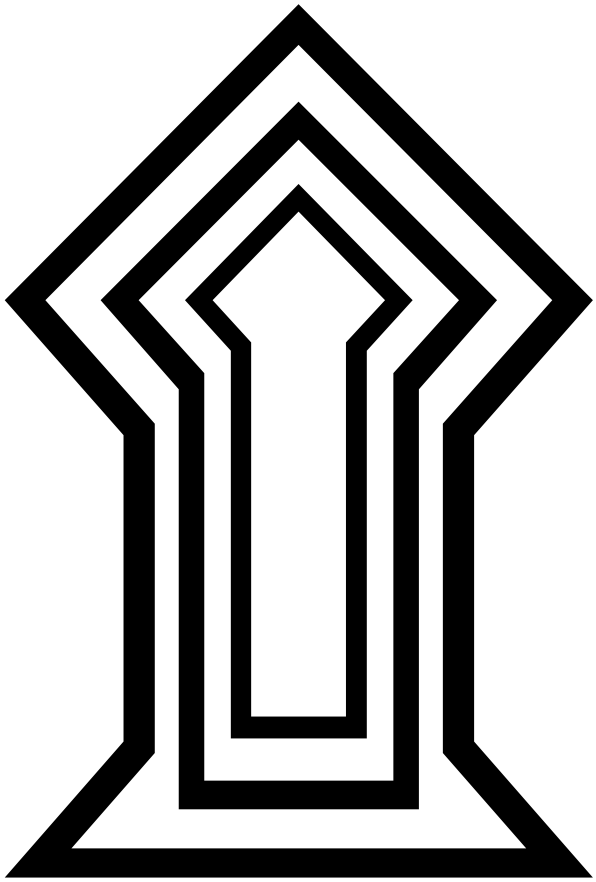

تاريخ أوروبا (٢)

(فترة ١٩١٨-١٦٠٠)

أوروبا في القرن السابع عشر و الثامن عشر

إمبراطورية روما والجرمان (ألمانيا-إسبانيا) كانت أكبر دولة في أوروبا.

إلا أن هذه الامبراطورية لم تكن تتسم بالشمولية والتماسك الداخلي بسبب أنها تتكون من مئات الحكومات الفرعية الصغيرة، وهولاندا باتت من حصة ملك إسبانيا ، والملك الكاثوليكي فليب الثاني كان يحاول أن يمنع الهولنديين من تحويل ولائهم للمذهب البروتستانتي في نهاية الحروب وقد حصلت هولندا على استقلالها، وأنشأت قواتها البحرية القوية ،حتى إنها استولت على إندونيسيا ، وأقامت العديد من المستعمرات العالمية لها في بيئة متناحرة متضاربة على المستوى الأوروبي.

انطلقت "حروب الثلاثين عام" التي وقعت بين عام ١٦٤٨- ١٦١٨ ، وهي حروب بدأت بسبب الدراسات التي أجراها إمبراطور ألمانيا فرديناند الثاني لتأسيس إتحاد المذاهب.

في هذه الحرب كانت دولة ألمانيا وإسبانيا في جهة ، ودول السويد والدنمارك وفرنسا وأمراء ألمانيا في جهة أخرى ،وقد خسرت ألمانيا فعلياً في هذه الفترة ،وتم الاعتراف بالديانة البروتستانية شرعياً مرة أخرى.

انتهت فترة حكم إليزابث الأولى في بريطانيا في عام ١٦٠٣م ، والملوك اللاحقين اعتمدوا النظام القمعي التسلطي ، وفوق هذا ، استمرت حالة التجاذب السياسي والفلسفي ، وفي نهاية التمردان الكبيران اللذان اندلعا في عامي ١٦٤٨ و ١٦٨٨ م ، استقرت إدارة الملكية البرلمانية والدستورية بانتهاء هذه الحقبة.

أرادت فرنسا أن تسيطر على أوروبا في القرن السابع عشر، وهو ما حداها لخوض سلسلة من الحروب والنزاعات الدولية، فخاضت المعارك ضد إسبانيا وهولندا وألمانيا ، ولكن ، وبسبب إتحاد الدول الأوروبية ضد فرنسا لم تحصل الأخيرة على أي نتيجة .

كانت سدة الحكم الفرنسية في تلك الحقبة مشغولة من قبل ليوني الرابع عشر ، فقد كان ملك فرنسا ، وهو شخصية مشهورة في هذا العصر.

بينما كانت روسيا دولة منفصلة عن كل شيء ، دولة تبني نفسها بصمت ودون الدخول في نزاعات واضحة للسيطرة على المساحات الدولية ، إلا انها ونتيجة التغيرات الدولية بدأت بإقامة العلاقات مع أوروبا في القرن السابع عشر.

رومانوف الذي ترأس روسيا في فترة استمرارية نشأتها أحدث دولة قوية ، والذي ترأس روسيا في نهاية القرن هو القيصر بيترو الأول (بيترو المجنون) ، وهو الشخص الذي حول الدولة الروسية إلى دولة الأوروبية بأكملها، وقد حدد لروسيا أهدافا تاريخية استراتيجية تضمن قوتها ونفوذها وتوسعها عالمياً .

في فلسفة القيصر بيترو ، كان على روسيا أن تخرج من أراضي شرق أوروبا المغلقة ، وأن تنزل إلى عالم "البحار الدافئة"، وهي البحر الأسود ، وبحر قزوين، وبحر البلطيق ، حيث كانت السيطرة عليها من أولى أهدافه وأولوياته.

الهدف الثاني الذي كان القصير بيترو يسعى للوصول إليه هو السيطرة على البحر الأبيض المتوسط و المحيط الهندي. و ولتحقيق هذه الأهداف التوسعية ، كان من الضروري أن يسيطر على إسطنبول والمضائق الموصلة للبحار ، ومن أهمها :تشناك قلعة.

كانت الدولة العثمانية في تلك الحقبة تمثل أكبر عقبة أمام روسيا القيصرية الراغبة بالتوسع ، وبعد سعي حثيث حصل " بيترو المجنون" على ميناء آزك التركي على البحر الأسود في عام ١٩٦٧ م ، وقد حقق بذلك هدفاً من بين أهدافه التوسعية.

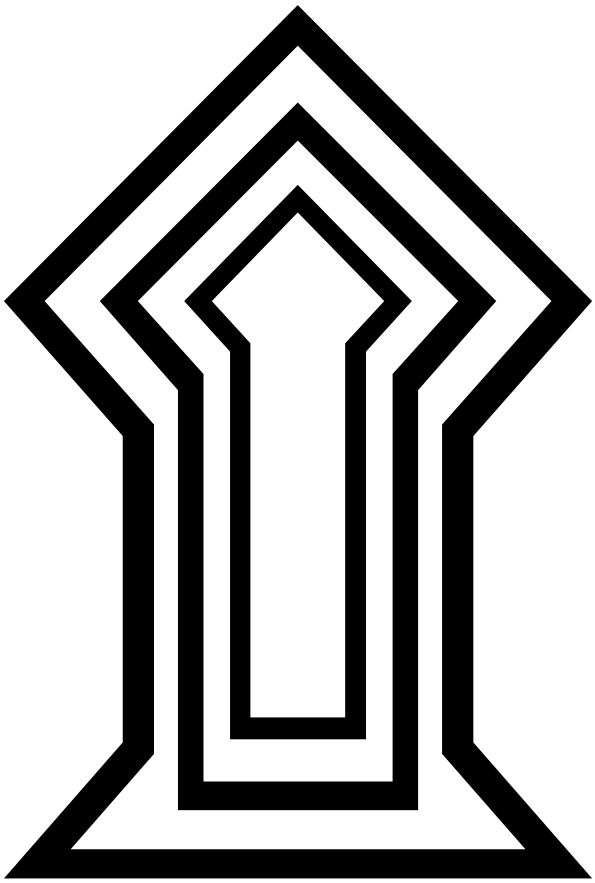

أ–من الحكم المطلق إلى النظام برلماني

١–الحكم المطلق (النظام الملكي)

قلنا إن أوروبا في العصور الوسطى كانت "عالما مسيحياً صرفاً" يدار من قبل إمبراطورية روما–جرمان المقدسة ومن خلال شخصية البابا ذاته .

إلا أن الوضع تغير في القرن السادس عشر ، وبدأت الولايات الملكية تتعزز ضد منظومة حكم الكنيسة وطبقة النبلاء المتنفذة، وهو ما قاد لميلاد الحكم المطلق بإسبانيا وبريطانيا وفرنسا أو ما يعرف باسم :(الممالك المركزية) وعزز من قواها السياسية والفرص الإقتصادية لها.

الملكيات الناشئة ، وبسبب عدم تأسيسهم لنظام الخدمة المدفوعة ، كانوا يحتاجون طبقة النبلاء(باليروقراطية) أيضاً ، ولذلك لم تكن ضوابطهم وشعاراتهم مصانة بالكامل ، إضافة إلى عوامل الطبيعة البشرية من حيث التزام الإنسان بأسرته ومسقط رأسه والسادة أكثر من إلتزامه بالملوك أنفسهم أو بالسياسات.

وفي هذا الصدد كانت هذه التجربة بحاجة إلى الاعتماد المطلق على مصادر دعم القرار بشكل أكثر قوة، يأتي ذلك في حين أن دولاً أوروبية أخرى مثل بريطانيا أصبحت مملكة ملكية مطلقة وعرفت بريطانيا في تلك الفترة تحديداً ١٢١٥ م لأول مرة ما كان يعرف باسم "ماغنا كارتا" (الشرط عظيم أو الدستور) ، وهو ما جعلها تتطور تدريجيا وتظهر فيها المرحلة البرلمانية.

٢- تطورات في الملكية

أ- ملكية عصر الإشراق

ظهرت فيما بين مفكري أوروبا وكتّابها ومفكريها عقيدة ونظريات فلسفية ومعرفية جديدة حول الوصول إلى حقيقة البشر والطبيعة من خلال الاستدلال العقلي في القرن السابع عشر ، وهذه الفترة التي تبدأ فيها معالم الاكتشاف الجديد عرفت باسم: "عصر الإشراق".

الكتاب المسمى ب"نصائح حول المناهج" (١٦٣٧) جلب نظرة مريبة في كثير من المواضيع التي كانت تعتبر من المسلّمات في الفترة السابقة.

جاء إعدام تشارلس الأول كحدث فارق في الحياة السياسية ، حيث ضاعف الإيمان والثبات على الحقوق المقدسة للملوك ، وقد كان ذاك العهد وثيق الصلة بمنشأ التعليق النقدي على الإنجيل ، وهو ما أثر في أذهان المسيحيين برمتهم ، وضعضع الحالة المعرفية في كثير من أوساطهم.

مرحلة الإشراق باختصار؛ نشأت كحركة فلسفية أدبية ضد الخرافة والجهل ، وضد المعارف التقليدية والأصول المتفقة عليها ضمناً لا عقلاً ووعياً ، وهي مرحلة بدأت في زمن جون لوك (١٧٠٤-١٦٣٢) فكريا وسياسياً واستمرت حتى الثورة الفرنسية التي حدثت بعد مائة عام من هذا التاريخ.

من أبرز الممثلين الرئيسين لفلسفة عهد "الإشراق":

- لسنك بألمانيا (١٧٢٩-١٧٨١).
- كوثة (١٧٤٩-١٨٣٢).
- فرنكلين بأمريكا (١٧٠٦-١٧٩٠).
- جفرسن (١٧٥٤-١٨٢٦).
- ألجوراتيتي وألفري وبكاريا بإيطاليا.
- دراسات كاترينا الثانية .
- القيصر بيترو.
- منتيسكيو وفولتيريا وروصا وديدروت دي ألمبرت بفرنسا
- آدم سميث ببريطانيا .. ونحوهم .

أحدثت حركات "الإشراق" التي بدأت في القرن السابع عشر واستمرت وتوسعت أفقياً وعمودياً في القرن الثامن عشر تأثيرات هامة في الحياة السياسية ، على المستوى الفردي والجماعي، وولد بعد ذلك الوضع الذي ظهر بسبب إجراءات السلاطين، والأخذ والرد ، وقد سمى الأوروبيون روادَ حركة الإشراق في تلك الفترة بألقاب ومسميات متعددة ، من أهمها: "ملكية المثقفين- إستبدادية المثقفين"

كان مفكرو عصر الإشراق يدافعون عن مجموعة من المفاهيم والقيم التي آمنوا بها ، ومن أهمها : الحكومات الدستورية ، المؤسسات، المساواة، وضع حد لعبودية الأراضي ، التسامح الديني ، وسعوا جاهدين لوضع حد للامتيازات بين رجال الدين وطبقة النبلاء، ووقف العقوبات اللائقة بكرامة الإنسان، وبناء الإقتصاد الحر، والحد من تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية إلى الحد الأدنى.

إلا أنهم مع هذا عملوا كمستشارين عند الملوك الذين كانوا ينتقدونهم ، على سبيل المثال فريدريك الكبير (١٧١٢-٨٦) وإمبراطورية روسية كترينا الثانية (١٧٢٦-٩٦) ، كانت قصورهم محضناً لرواد حركة الإشراق .

كثير من حكام أوروبا الذين ينطبق عليهم وصف : "المثقف المستبد" بدؤوا بتطبيق وتنفيذ أفكار الفلاسفة بحسب وضعهم الداخلي، وفي هذا المجال دعموا جميعهم تقريباً فكرة : "إزالة الإمتيازات الخاصة بالأراضي بين رجال الدين وطبقة النبلاء "، لأنهم يرغبون في تعزيز دخلهم الشخصي من خلال تأييد هذا الأمر.

أما الحكام الذين قاموا بتطبيقات وإصلاحات واسعة في هذا الصدد فهم: إمبراطور روما- جرمان المقدسة جوزيف الثاني (١٧٩٠-١٧٤١) ، وملك بروسيا فريدريك ، وإمبراطورة روسيا كترينا الثانية.

ب- الحركات الديمقراطية في بريطانيا

أثناء ابتعاد ملك بريطانيا ريتشارد قلب الأسد عن دولته بسبب قيادته لزحوف الحروب الصليبية ، أصبح شقيقه جون المشرد ملكاً في بريطانيا ، وصدارة جون المشرد للمشهد السياسي زاد الفوضى في البلاد برمتها ، لأنه تعامل بقسوة مفرطة مع شعبه وكان غير موهوب سياسياً وإدارياً ، فعمد إلى زيادة الضرائب وتوسيعها ، وتسبب بخلاف مستمر مع فرنسا ، واختلف مع البابا بصورة واضحة أيضا، عندئذ ثار البارونات أو (طبقة النبلاء) ضده ، وأعدوا الدستور العام المعروف باسم :(ماكنا كارتا) في عام ١٢١٥ وفرضوه على جون المشرد قسراً.

في الواقع هذه الوثيقة كانت مؤلفة باللغة الفرنسية ، وكانت تحمل في بنودها التفصيلية أوصافاً وموادا تضمن الحقوق الإقطاعية لطبقة النبلاء ، ووفقا لذلك؛ سيتم إحترام إمتيازات البارونات قانوناً ، ولن يلمس ميراثهم الشخصي ، ولن يتم القبض على الإنسان الحر إلا بالقانون الملكي أو بقرار من مجلس اللوردات ، ولن تسلب أرض (طبقة النبلاء) إلا بأحوال صعبة جداً ولا يمكن وقوعها بعد إقرار الدستور والتفصيلات الشكلية التي تم

اعتمادها، وهو ما أتاح لهم نفوذاً واسعاً ، وهكذا أصبحت صلاحيات الملك نفسه محدودة ونفوذه آخذ بالانحسار تدريجياً.

شعر البابا إنوسينتوس الثالث بقلق بالغ نتيجة فرض (ماكنا نارتا) على أرض الواقع ، وشعر فعلياً بحجم التهديد الذي تمثله لسلطانه ، لأن بها يتم تحديد الملكية التي تحد من هيمنته ونفوذه.

دعم البابا إنوسينتوس الثالث مملكة الملك جون المشرد ، وإستخدما معاً أساليب التأثير السياسي والاقتصادي كسلاح في مواجهة الدساتير الملكية ، وتم توسيع التأثير على الدول المسيحية ، وهو ما أدى إلى حظر الطبقة المتنفذة أو (البارونات) الذين صاغوا (ماكنا كارتا) في تلك البلاد .

وكخطوة مضادة ، توجه المتنفذون لطلب العون من حلفائهم ، حيث طلب البارونات المساعدة من ملك فرنسا.

خلال الصراعات الأوروبية الداخلية كانت بريطانيا تسير نحو الديمقراطية خطوة بعد خطوة ، حيث تم فرض **"تدابير أوكسفورد"** على الملك البريطاني في سنة ١٢٥٨م، أما الملك **أدوارد الأول ١٢٧٢ م** ، فقد قاتل البارونات من جهة ، ساعياً لزعزعة نفوذهم ، وطور مجلساً ذا نمط برلماني من جهة أخرى، إضافة إلى لجنة عينها طبقة النبلاء ، وهنا بدأت تظهر منظومة **"قمرة طبقة العموم"** المكونة من البرجوازية الحضرية و الفرسان الصغار .

وبعد هذا التاريخ ، تتابعت الأحداث في بريطانيا وتعاقبت بصورة متدحرجة ، حيث انفجرت الخلافات بين البابا والملوك ، وبدأت "حروب القرن" الشهيرة ، التي استمرت أكثر من قرن كامل مع فرنسا.

في هذه الفترة حظي الملوك بمكانتهم ، حيث أن الملوك محترمون قانوناً بما تنص عليه وثيقة الدستور العامة (ماكنا كارتا) .

قام الملك هنري الثامن في عام ١٥٠٩ بتطوير سلاح البحرية ، وبسط نفوذه على الجغرافيا ، وحاول أن يسيطر على أوروبا ، ولكن من الجهة الأخرى بدأت تنتشر حركات الإصلاح في الوقت الذي حكم فيه. وهو ما أوصل لواقع جديد في فترة الملكة أليزابيث الأولى التي حكمت البلاد بعده ، وكانت فترة ازدهار وانتعاش في شتى المجالات، وكانت النمطية البرلمانية فيها تحظى باحترام واضح أيضاً.

إلا أن تشارلز الأول وجيمس الأول اللذان وصلا للحكم كملكين بعد عام ١٦٠٣ كانا يؤيدا فكرة الملكية، وفكرا بإزالة البرلمانية البريطانية التقليدية المستمرة منذ عام ١٢١٥.

نتيجة اندلاع الثورة المنطلقة في أسكتلندا ، ونتيجة الحروب الداخلية الأوروبية، وكرد على التداعيات الداخلية تم إعدام الملك تشارلز الأول من قبل كروم وال الذي أسس الجمهورية، إلا أن ابن الدكتاتور كروم وال الذي أخذ مكان أبيه بعد وفاته في عام ١٦٥٨ قد تم خلعه ، و تم تعيين تشارلز الثاني ملكاً من جديد ، وهكذا استقر واقع الحكم البرلماني في بريطانيا على وجه التحديد وترسخت معالمه .

ج- تأسيس الولايات المتحدة

بعد اكتشاف القارة الأمريكية في سنة ١٤٩٢م ، توزع الإسبان في أمريكا الجنوبية والوسطى ، وكان البرتغاليون موجودون بجنوب أمريكا وقد أنشؤوا المستعمرات الخاصة بهم في العديد من بلادها المعروفة اليوم، واستقر البريطانيون في سواحل المحيط الأطلسي بجنوب أمريكا وأنشؤوا المستعمرات الخاصة بهم .أما الفرنسيون فقد ضبطوا بعض الأماكن في سواحل كندا وسيطروا عليها.

الأوروبيون الحائزون على قوة المعرفة الموجودة في تلك الحقبة ، والأسلحة المتفوقة ، نزعوا ثقافة وحضارة القبائل الموجودة في أمريكا، والمعروفون باسم الهنود الحمر ، وهم السكان المحليون في هذه القارة كاملة ، وسعت القوى الاستعمارية بالتدريج لسلخهم عن هويتهم وثقافتهم ونمط حياتهم الذي كان يعرف تبعاً لتوجهاتهم العرقية باسم: آزتاك ، مايا ، وإنكا. واستعبدوا الشعوب الأمريكية المحلية.

١٣ المستعمرات البريطانية

كانت المستعمرات البريطانية المنشأة بسواحل شرق أمريكا تدار من قبل المحافظين أو المندوبين الذين أرسلتهم بريطانيا ، وكانوا يمثلون المصالح الاستعمارية البريطانية في تلك الحقبة.

وبعدما انتهت الحرب البريطانية- الفرنسية في عام ١٧٦٣ ، وضعت الحكومة البريطانية ضرائب جديدة على سكان أمريكا ،وبدأت تنفذها بتشدد في كافة المستعمرات التابعة لها، هذه الضرائب أوجدت حالة من النفور

الشعبي ضد السياسات البريطانية ،و لم توافق المستعمرات على الضرائب المفروضة على كل السلع الأساسة (١٧٦٥) ، وعندئذ وكنتيجة للأحداث المتفاقمة، إجتمع ممثلوا ١٣ مستعمرة بريطانية بمدينة فيلادلفيا في عام ١٧٧٤ م، وقرروا الدخول في مواجهة مع البريطانيين.

بدأت الصراعات المسلحة في أمركيا بين سكان المستعمرات البريطانية والبريطانيين في سنة ١٧٧٥م ،عندها قام الملك بريطاني جورج الثالث بإرسال التعزيزات العسكرية وحشد الجنود الجدد محاولاً ضبط مستعمراته بأمريكا، واستمرت هذه الثورة تتوسع تدريجيا ، وصولاً إلى مؤتمر فلادلفيا الثاني الذي تم عقده في عام ١٧٧٦م ، والذي أعلن إستقلال البلاد عن الحكم البريطاني في تموز سنة ١٧٧٦.

اللجنة التي تواجد فيها فرانكلين وثوماس جفرسن أعدت بيان حقوق الإنسان ، وأعلنته في كل أرجاء العالم.

في هذه المرحلة التحررية ، قام الفرنسيون بمساعدة الأمريكيين ضد بريطانيا ، وبدأ الجنرال جورج واشنطن الفرجيني العمل بموقعه الجديد ، حيث عين رئيسا للجيش الأمريكي ، ودخل الحرب الأمريكية – البريطانية التي استمرت على مدى ثمانية أعوام ، وانتهت بتاريخ ١٧٨٣م ، حيث وافقت بريطانيا من خلال إتفاقية فرساي على إستقلالية المستعمرات التابعة لها في أمريكا.

الولايات المتحدة

بعد انتهاء الحرب مع بريطانيا ، لم يتفق أعضاء إدارة ١٣ من المستعمرات البريطانية السابقة على كيفية تأسيس الإدارة للدولة الجديدة ، وهنا بدأت الحرب الأهلية الداخلية بينهم ، إلى أن انعقد المؤتمر العام برئاسة جورج واشنطن في عام ١٧٨٧ وتم عمل الدستور الأمريكي الذي لا يزال ساريا بالبلاد ، و تم الإتفاق على إقامة

إدارة الجمهورية الفيدرالية ، وأن تكون كل دولة حرة في أمورها الداخلية وأما في أمورها الخارجية والسياسة الدولية فتتمحور في مركز قرار واحد وجماعي ، وهكذا تم حسم الخلافات بينهم ، وعلى إثر ذلك، تم إنتخاب جورج واشنطن كأول رئيس في أمريكا.

٣–الثورة الفرنسية، أسباب الثورة ونتائجها

مما لا شك فيه أن أحد أهم الأحداث التاريخية في أوروبا في القرن الثامن عشر هو انفجار الثورة الفرنسية التي انطلقت عام ١٧٨٩ م، وهو الحدث العالمي الفارق الذي ترك آثاراً ملموسة وواضحة أولاً بأوروبا ، وثانياً في الدول الإقليمية والدولية الأخرى .

أ– الأسباب الرئيسة للثورة الفرنسية :

كما كان الحال في جميع الدول الأوروبية والذي استشرى في فرنسا أيضا ، تم تقسيم البنية الطبقية في المجتمع إلى عدة شرائح، أهمها : "طبقة النبلاء ، الرهبان والكهنة ، الطبقة البرجوازية ، القرويون البسطاء و(العبيد)".

هذه التفرقة هي سبب رئيس في ميلاد الثورة الفرنسية، لأن القرويون الذين ليس لديهم أي حق مكفول قانوناً، والعبيد الذين تم استعبادهم من مستعمراتها العالمية الذين يشكلون النسبة العظمى والمناطق الجغرافية الأكثر إكتظاظا بالسكان في المجتمع أرادوا أن يحصلوا على حقوقهم.

أما البرجوازيون الذين يشكلون القسم الثاني من حيث انتشارهم في المجتمع - رغم حريتهم – إلا أنهم كانوا مفتقدين لحقوقهم السياسية ، ويريدون المساواة مع طبقة النبلاء.

واختصاراً ، فقد كان العبيد يودون الحصول على "الحرية" ، وكان البرجوازيون يطالبون ب "المساواة" ،وفي الطرف الآخر،من يملك إدارة الدولة ، وهم :"طبقة النبلاء والكهنة" الذين لم يرغبوا في الموافقة على هذه الحقوق، ومنحها لمستحقيها .

من جهة أخرى ، توسعت الإدارة العليا والطاغية من أتباع نظام الملكية في سياساتها التي تهدف للسيطرة على الموارد الاقتصادية والمنافع الخاصة ، وكانت تقوم بالاضطهاد الفعلي وبمنهجيات عظيمة للشعوب الخاضعة لحكمها وسلطتها.

بعد نشوء حركات الإصلاح التي بدأت في القرن الخامس والسادس عشر ، وفي فترة الإشراق التي ظهرت في مجال العلم والثقافة والفكر في القرن السابع والثامن عشر ، بدأت تُذكر على نحو واسع كلمة حقوق الإنسان الطبيعية كمفهوم.

في تلك الفترة ، توسع المثقفون والمؤلفون في هذا الشأن ينبهون الشعب و يثقفونهم في نفس الوقت بحقوقهم الأساسية ، وقد برز نجم ثلاثة منهم :

- مونتسكيو.
- فولتر .
- جان جيك روصو

وهؤلاء كانوا من الرواد في هذا الموضوع ، ومن أبرز المدافعين عنه ، وقد كتب كل منهم آثاراً للتعبير عن هذه المفاهيم الإنسانية ، وكمثال على ما تركوه من آثار :كتب فولتر عن حرية الدين بتوسع ، وكتب مونتسكيو عن القانون والقضايا القانونية ، وكتب جان جيك روصو عن حقوق الإنسانية الطبيعية.

السبب الآخر في الثورة الفرنسية هو الآثار التي تركتها المعادلة السياسية الدولية بعد تأسيس أمريكا ، ونجاح أمريكا في اعتماد إدارة جمهورية تقوم على نظام "التمسك بالمبادئ الدستورية"، في مقابل نظام تعسفي يقوم على (وجود المجلس مع الملك) المطبق في بريطانيا.

يضاف إلى هذه العوامل الأساسية أيضا ، أن فرنسا كانت تعيش في ظلال أزمة مالية كبيرة تطال أشكال الحياة في تلك السنوات.

الثورة الفرنسية والحروب الثورية

بدأت الثورة الفرنسية بسبب تراكم الأسباب العديدة فوق بعضها.

قام الفرنسيون بالتأسي بالأمريكيين في الكثير من ملامح تجربتهم ، وقد أضاف الفرنسيون مثلما فعلت أمريكا ١٧ بنداً تشريعياً عن "حقوق الإنسان والمواطنة" ، لتكون مكفولة بالدستور ، وتحديداً إلى القسم الأول من الدستور المدون في عام ٤ آب ١٧٨٩ لتعيين حقوقهم الإنسانية غير الموجودة في بلادهم.

واندلعت الثورة التصحيحية – إن جازت تسميتها بذلك – في كثير من الأصقاع ، وتم إعدام الملك لوي السادس عشر وزوجته في الثورة ، وظهر الزعماء الشعبيون والجماهيريون مثل ميرابو، دانتون، روبيس بيار كرواد وقادة من رحم الشعب وكإفراز لثوراته .

على إثر ذلك تم تأسيس المجالس التكوينية وتشكلت الأحزاب والتيارات السياسية رويداً رويداً ، واستمرت الصراعات الداخلية لفترة طويلة في محاولة لتحديد المسارات والتوجهات وفرض النفوذ والرؤى ، و لم تعين فرنسا كيفية الإدارة الذاتية في البلاد بعد إزالة الملكيةنتيجة هذه الصراعات،واستمر ذلك حتى تأسيس الإمبراطورية في سنة ١٨٠٤ م .

عاشت الفترة الثورية مراحل هامة ومركزية، منها:

- إيتاجينيرو ، أو المجلس الوطني والمجلس التأسيسي: ١٧٩١-١٧٨٩.
- فترة المجالس الدستورية :١٧٩٢-١٧٩١
- مجلس المؤتمر الوطني :١٧٩٥-١٧٩٢
- فترة النقل الإدارية :١٧٩٩-١٧٩٥
- فترة النقل القنصلية والسياسية :١٨٠٤-١٧٩٩

هنا نشأت العديد من الوجوه القيادية ، من ابرزها نابليون ، الجنرال نابليون الشاب الذي ظهر في فترة الثورة قد أنهى هذه الفترة المعقدة ، واستطاع تجاوز العديد من سلبياتها ، وأسس إمبراطوريته في عام ١٨٠٤.

أثارت الأحداث الجارية في فرنسا قلقاً في بعض الدول العالمية ، منها : النمسا بشكل رئيسي ، وبروسيا وبريطانيا وإسبانيا.

ونتيجة الخلافات بين هذه الدول وفرنسا بدأت موجة الحروب واستمرت حتى عام ١٨١٥م.

وفي هذه المعارك الطاحنة انتشرت الأفكار حول آليات إدارة الدول ، ومفاهيم حقوق الإنسان التي ظهرت بفرنسا ، وقد انتشرت إثر ذلك في كل أوروبا ، وبدأت الأنظمة الملكية تهتز بصورة كبيرة، وهو ما أفرز أيضا انتشار فكرة الإدارة الذاتية من الجمهور في أوروبا ، وهي الفكرة التي يفاد عنها بالمصطلح الديمقراطي المعاصر، وأن يكون الشعب بمكوناته صاحب الرأي في إدارة شؤون الدولة والبلاد ، وهي فكرة لاقت قبولاً واسعاً أدى إلى انتشارها في الدول الأوروبية الأخرى.

كانت لنابليون في تلك الفترة أطماع استعمارية تتعدى الحدود لفرنسا ، فهاجم نابليون أراضي الدولة العثمانية في أثناء الحروب ، واحتل مصر ، إلا أنه اضطر أن ينسحب من فلسطين مهزوماً بتاريخ ١٨٠٢م.

ب–نتائج الثورة الفرنسية

أهم نتيجة من نتائج الثورة الفرنسية هي فرض حقوق الإنسان غير الموجود حتى ذلك الوقت على جدول الأعمال الفردي والجمعي ، وانتشار مبادئ الحرية، العدل، المساواة ، الأخوة ، القومية ، الملكية ، و إنتشار فكرة الديمقراطية في الوقت نفسه.

هذه التغيرات الفكرية أنهت عهد الإمبراطوريات نهائياً وفتحت الباب مشرعاً أمام عهد الدول الوطنية ، حيث بات كل مجتمع يطالب بحقوقه الطبيعية ويرسم سياساته الذاتية.

ج– آثار الثورة الفرنسية على الدولة العثمانية

قضية حقوق المجتمعات الوطنية كانت إحدى أهم الأفكار التي طرحتها الثورة الفرنسية، وهذه الفكرة هي الجانب الأبرز من الاحتلال الفكري الذي أثر في الدولة العثمانية ، ونعني به: ميلاد التيارات القطرية وميلاد "القومية".

قضية حقوق الإنسان لم تجد لها صدى في العهد العثماني ، لأن الدولة العثمانية كانت أكثر تقدماً في حقوق الإنسان إذا ما قورنت بأوروبا ،كما لم يكن ثمة وجود لفئة الفقراء المسحوقين أو العبيد أو فئة تمس لغياب تطبيقات حقوق الإنسان في الدولة العثمانية.

كانت الدولة العثمانية تجمع عشرات من مكونات الشعوب تحت مسمى الأمة وتحت مظلة الخلافة ، وهنا كان تأسيس المجتمعات الوطنية لبعض الإثنيات والعرقيات مثل : (الصرب، اليونان ، البلغار، الرومان) دولهم المستقلة ومطالبتهم بالإستقلال الذاتي كنتيجة متعلقة بمجريات ومآلات الثورة الفرنسية ، وهو ما أثر في البنية الداخلية للدولة العثمانية بصورة قوية ومباشرة.

واجهت الدولة العثمانية التمردات الداخلية العديدة في القرن التاسع عشر ، وركزت على القضاء على الجيوب المرتبطة بالغرب ، والسبب المباشر : أنها لا تريد أن تنسحب من المناطق التي تعتبر جزءاً من هويتها الجيوسياسية ، ولا تريد أيضا أن تترك هذه المجتمعات.

وجدت أوروبا في هذه الدعوات العنصرية والتي تدعوا للتفرقة والانعزال عن جسد الأمة الإسلامية تحت المظلة العثمانية ، ولا سيما تمرد الأقليات المسيحية داخل الأراضي العثمانية فرصة سانحة ، وحالة من التغيير السياسي لا بد من اقتناصها من قبل الدول الأوروبية ، ولذلك قاموا بدعم توجهات الانفصال ، وإسراع انطلاق شرارة أعمال الشغب أكثر فأكثر ، وهدفهم :كسر وحدة الدولة العثمانية التي تعتبر العدو الاستراتيجي لأطماعهم الاستعمارية التوسعية .

٤–جهود للرجوع إلى النظام القديم وردود أفعاله

أ–مؤتمر فيينا

انتهت الحروب التي شنها نابليون للسيطرة على جميع أراضي أوروبا في ١٨١٥ م دون أن يحقق النصر ، وهو ما أوجد متغيراً سياسياً اقتنصته أوروبا.

الدول المنتصرة على نابليون وعلى رأسها بريطانيا، النمسا، بروسيا، روسيا ، اجتمعت في مؤتمر فيينا لتعيين مستقبل أوروبا وتحديد ملامحه ، ورسم الاستراتيجيات الخاصة به بعد النصر على نابليون.

مؤتمر فيينا المنعقد برئاسة رئيس وزراء النمسا كونت مترنيه أعطى شكلاً جديداً لأوروبا، وقد حاول إزالة آثار الثورة الفرنسية وبداية مرحلة جديدة، واستمر نظام مترنيه حتى سنة ١٨٣٠.

ب–الثورات

ثورات ١٨٣٠

في عام ١٨٢٤م حاول الملك شارل العاشر تأسيس الإدارة الملكية في فرنسا وفق منهجية شاملة، ولكن الليبراليين والمجموعات المخالفة له في هذا التوجه قد عارضوا هذه المحاولة ، وبدؤوا سلسلة من الإجراءات ضدها على المستوى السياسي والشعبي .

وحتى يلفت الملك شارل النظر إلى الخارج في محاولة منه لامتصاص النقمة الليبرالية ضده، دعم الملك التمرد اليوناني وأنزل الجنود إلى الجزائر ومن ثم قام بفسخ المجلس وإلغاء دوره ، ولكن عندما فاز معارضو الملك في الانتخابات الجديدة مجدداً بدأت الأوضاع تتفاقم بصورة تراكمية .

في تلك الفترة ، تم وضع الصحافة تحت الرقابة، وبدأت إجراءات الكبت تظهر بصورة تدريجية ،وهو ما أدى بعد فترة معينة إلى اندلاع ثورة عظيمة ضد الملك شارل، وأصبح بموجب مآلات هذه الثورة لوي فيليب ملكا بسبب أنه ليبرالي يرفع شعار (الإستقلال)، وهي ثورة مست مفاهيم جديدة لأول مرة ، حتى أطلقوا هذه المرة على الملك مسمى "ملك الفرنسيين" ، وهذا كان يفيد بوجود نظام ملكي مختار بإرادة الشعب.

أثرت هذه الحركة على الدول الأوروبية الأخرى ، وباتت التيارات السياسية تحاول أن تقتدي بالتجربة الفرنسية ، فقد سيطر الحزب الليبرالي على الحكومة في بريطانيا، وانفصلت بلجيكا عن هولندا ، وانفصلت السويد عن النرويج، وهو ما اجبر القيادات السياسية الجديدة أن تعطي بعض الحقوق الجديدة لمواطنيها لم تكن معهودة في الدول الأوروبية.

ثورات ١٨٤٨

يشهد التاريخ بأن المجتمعات الحرة في المدن، خاصة في بريطانيا ، هم من أطلقوا مرحلة تطوير الصناعة في نهاية القرن الثامن عشر التي مثلت أساس الثورة الصناعية في أوروبا ،وأما أول سبعين عاما من القرن التاسع عشر ، وتحديداً : (١٨٧٠-١٨٠٠) فقد شهد هذا العهد التطورات التقنية والتوجه إلى التصنيع بشكل سريع لم تعهد أوروبا نظيراً له.

هنا بدأ ميلاد متغيرات كبيرة وفعلية ، فانتشار التجارة الواسعة، وتطور تنظيم الإنتاج في المصانع، واستخدام الآلة البخارية في البحار، وزيادة التعداد السكاني السريع، كلها عوامل زادت من عدد المدن المليئة بالمشاكل المتعددة، فبينما كان عدد المدن الأوروبية التي يبلغ عدد سكانها مائة ألف فأكثر في عام ١٨٠١ أربعة عشر مدينة ، وصل عددها إلى ألف مدينة أوروبية في عام ١٨٧٠.

هذا التغير الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته بريطانيا وبعدها الدول الأوروبية الأخرى في أوروبا قد جلب الكثير من القضايا معه.

أبرز المتغيرات الفاعلة على الساحة كان وجود وميلاد فئة حديثة ظهرت تبعاً للثورة الصناعية،ألا وهي شريحة العمال أنفسهم ، فتم طرح الأفكار الجديدة والقواعد في شأن حقوق العمال وأرباب العمل إضافة إلى الفئات السابقة في الجغرافيا الأوروبية.

المسألة الأساسية كانت في كيفية تنظيم الحقوق و العلاقات في المجالات الرئيسة التي تتصل بالعمل وبيئة العمل، وتحديداً: الأعمال-العمال، العمال-المصنع ، العمال-الدولة ،وهو ما أدى إلى ظهور تيارات جديدة في فرنسا وبريطانيا لا يسمى تيار "الإشتراكية" ، ومن روادها سان سيمون (سينت سيمون) وفيريا (فورارير) وأوفن البريطاني ، وهؤلاء قد ألفوا بعض الكتب والمؤلفات التي اعتبرت تأييداً لفكرتهم وأسساً في هذه المنطلقات والتوجهات التي اعتمدوها.

كان هؤلاء يطرحون الأفكار حول قضايا هذه الفئة حديثة النشوء بأوروبا ، وقد توسعت المفاهيم التي طرحوها وصولاً لما قام به لوي بلان (لويس بلانك) بفرنسا من دعوة لسحب الحق في الملكية من الشخص ، وهكذا تكونت أول أفكار التيار المسمى ب"الشيوعية" في أوروبا ، ليأتي بعد ذلك كارل ماركس وهو مفكر من أصل يهودي ليطرح افكاره في بريطانيا وألمانيا حتى أصبح ممثلاً رئيساً لتطوير فلسفة وتوجهات وديناميكية هذا التيار.

الثورة في فرنسا

هنا ، وفي هذه البيئة العاصفة ، انطلقت الثورات الفرنسية في عام ١٨٤٨، حيث تمرد الليبراليون ، والإشتراكيون، والشيوعيون، والجمهوريون،والكاثوليك في باريس ، وقاموا بطرح فكرة عجز الملك عن القيام بالإصلاحات اللازمة في البلاد.

على إثر ذلك تم خلع الملك وتشكلت الحكومة المؤقتةفي فرنسا ، وأعطيت للفرنسيين مجموعة من الحقوق ، كحق الاقتراع والتصويت ، وأزيلت عقوبة الإعدام ، وتم الانتهاء من ملفات تجارة العبيد، كما تم إعلان النظام الجمهوري، وأعلن نابليون الذي كان يدير الدولة اعتمادا على الحزب الكاثوليكي في السابق إمبراطوريته مثل عمه نابليون الأول في عام ١٨٥٢ وسمي بنابليون الثالث.

الثورة في الدول الأوروبية الأخرى

الثورات التي اندلعت في عام ١٨٤٨ ، بدأت تفرض نفسها على الواقع العام في أوروبا ، حيث بدأت أهم أثارها تظهر في النمسا بعد فرنسا.

الإيطاليون ، والكروات، و الهنغاريون، والتشيكيون ، تمردوا من أجل الانفصال عن أراضي إمبراطورية النمسا، وهو الأمر الذي دعا النمسا لطلب يد العون من الروس لمواجهة هذه القلاقل الواسعة ، وبعد التدخل الروسي ، خسر الثوار المجريون أمام الروس ، والتجأ خمسة ملايين منهم إلى الدولة العثمانية ، و لم ترجعهم الدولة العثمانية برغم التهديدات بالحرب التي تعرضت لها وآثرت حمايتهم.

نتائج الثورات ١٨٤٨

كان من أبرز نتائج الثورات الأوروبية المتلاحقة ما يلي :

- تحقيق الاعتراف الرسمي بالدستور في روسيا وإيطاليا ، وهو ما عنى في ذلك الوقت بداية لبناء القوات الإيطالية ، ومن بعدها القوات الألمانية.
- تم إنهاء ظاهرة العبودية التي سادت في أوروبا ردحاً من الزمان ، وما كان يعرف باسم : "عبودية الأرض" لا سيما في إمبراطورية النمسا.

- تغيرت الحالة المعرفية والاقتصادية والاجتماعية في أوروبا ، ونتيجة مطالب الثورات المتلاحقة قامت الدول الأوروبية بمنح الحقوق المتعددة لمواطنيها.

ج–إزدواجية المعايير الممارسة من قبل الدول الأوروبية ضد الدولة العثمانية

تعبير إزدواجية المعايير ، هو استخدام قياسين مختلفين عن بعضهما في مسألة واحدة. كمثال على ذلك : لا يصح قتل المدنيين في الحرب ، هذا المبدأ إن كان المدنيون القتلى من المسلمين لا يطبق ، وإن كان القتلى من المسيحيين و يحظون بالإهتمام البالغ فهذه هي إزدواجية المعايير نفسها.

الأوروبيون في أثناء الثورة الصربية واليونانية بينما يغضون النظر عن المدنيين المسلمين الذين قتلتهم هاتان الدولتان كانوا يثيرون الضجة بأن الأتراك أو العثمانيين قتلوا المدنيين المسيحيين ، على الرغم من أنها ليست حقيقية.

تكرر المشهد نفسه في التمرد البلغاري في عام ١٨٧٦م ، حيث كان عدد المدنيين المسلمين القتلى حوالي عشرة آلاف بينما كان عدد القتلى من البلغاريين لا يتجاوز إثنان–ثلاث آلاف في ثورة بدأت بدعم الروس لزعزعة الأمن في الدولة العثمانية .

ففي الوقت الذي كانت فيه القوات العسكرية العثمانية تحاول قمع المتمردين المسلحين وتضمن الأمن والاستقرار ، إلا أن "مركز الدعاية أوروبية" قد إتخذ سلسلة من الإجراءات الإعلامية المضادة والتي تثير حنق الشعوب ضدها، كزعمهم :بأن الأتراك يقضون على البلغار! ونحوها .

في تلك الحقبة غير المستقرة كان الرأي العام الأوروبي وإعلامه جاهز كي يصدق كل خبر خاطئ عن الأتراك العثمانيين ،وكان يصدق هذه الدعاية لتخوفه من الدين الإسلامي ، وهكذا كانت الدول الأوروبية التي لا تذكر شيئا عن قتل ملايين من المسلمين الأتراك في البلقان في القرن التاسع عشر تأخذ موقفاً متهماً تجاه الأتراك باستمرار.

أما الأمم الأخرى مثل الصرب واليونان والبلغار والرومان ونحوها ، فرغم وجودهم تحت الحكم العثماني على مدى خمسمائة سنة ، إلا أنهم قد حافظوا على قيمهم الوطنية والدينية والاجتماعية والثقافية أيضا ، وطوروها في ظل تسامح الدولة العثمانية ورعايتها للإثنيات، ولكن لا نستطيع أن نقول الشيء نفسه عن المجتمعات المحلية من المسلمين في أماكن ذهبوا إليها في أوروبا ، هذه هي إزدواجية المعايير التي تنفذها أوروبا ضد الدولة العثمانية ، والتي لا زالت ظلالها ممتدة حتى يومنا هذا.

٥- تأسيس الاتحاد السياسي في إيطاليا وألمانيا

أ- تأسيس الاتحاد السياسي في ألمانيا

انفصال إسبانيا عن إمبراطورية روما-جرمان المقدسة، وتبني حركات الإصلاح في كثير من البقاع الأوروبية ، وانتشار دور الأمراء من المذهب البروتستانتي قد قلل من قيمة الإمراطورية ومكانتها الدولية ، فلم يبق من أثر للإمبراطورية إلا في النمسا وهنغاريا ، ومن جهة أخرى ، فمن أهم أسباب ضعف النمسا هو هزيمتها المتواصلة في المعارك أمام الدولة العثمانية.

الأمير الكبير فريدريك (١٦٨٨-١٧٤٠) من أمراء ألمانيا الفاعلين والمؤثرين، فقد أصبحت بلاده في عهده دولة قوية ومركزية، وكتب اسمه في قائمة الدول القوية في أوروبا في عهد فريدريك الثاني (١٧٨٦-١٧٤٠).

أما السلالة الحاكمة هههان زولارن التي ينتمي إليها هؤلاء الملوك قد وصلت إلى درجة قوة السلالة الحاكمة هابس بورك المسيطرة على النمسا.

ومع تتابع الأحداث ونشوء المصالح المتجددة ، قام رئيس الوزراء مملكة بروسيا بيسمارك بتحديد مسار جديد ، فقد انطلق بجيش جرار في عام ١٨٦٢ من أجل تحقيق نظرية اتحاد الأمراء الألمان ، وبعد توحيد نظام الجمارك وتطوير الطرق الحديدية أزال كثيراً من العوائق الجاثمة أمامه، وتوسع بيسمارك في حروبه وبسط نفوذه بشكل كبير ، فقد هزم الدنمارك في عام ١٨٦٤. وحقق نصراً واضحاً في روسيا وفرنسا في عام ١٨٧٠ عقب فوزه على النمسا في معركة صاضوفا عام ١٨٧٠. و هكذا استطاع بيسمارك الذي انتصر على فرنسا و النمسا أن يؤسس الإتحاد الألماني بزعامة بروسيا في عام ١٨٧١، واستطاع كذلك تحديد الركائز الأساسية لهذه الدولة الحديثة ، ألا وهي : أفكار القومية الألمانية ، وتحقيق السلطة العسكرية (الجيش القوي ووجود الأسلحة القوية).

ب- تأسيس الإتحاد السياسي في إيطاليا

الكونت كاور (٦١-١٨١٠) الذي كان رئيس مملكة بيومنت في عام ١٨٥٢ كان قد خطى خطوات هامة في بناء الذات ، فقد حول هذه الدولة الصغيرة إلى دولة لديها جيش قوي ومتقدم في الصناعة والزراعة ، ولها منظومة سكك حديدية واسعة الانتشار ، ولها نظام قضائي وقانوني مطبق أيضاً.

أدت هذه الحالة النهضوية إلى تعليق الآمال على بيومنت لتشكيل اتحاد إيطالي فاعل ومؤثر على الساحة الدولية، وهو ما قاد بيومنت لعقد اتفاق اتحاد التعاون الدفاعي مع فرنسا ، وبدأ يشرد الأستراليين من أراضيه وفق مخطط التوسعة المطروح.

ومن خلال الإنجازات العسكرية التي حققها بشكل متتابع فقد نجح في تجميع الدول الإيطالية حوله ، و في هذه الأثناء بدأ الجنرال الإيطالي جاريبالدي بإتخاذ الإجراءات اللازمة من طرفه ، ونتيجة لجهوده اشتركت سيجيليا في الجنوب ونابولي أيضا في هذا الإتحاد.

أثناء حرب النمسا- بروسيا في سنة ١٨٦٦ ، أخذ الإتحاد الذي يدعم بروسيا فينيسي أيضا. و لم تبق دولة تقصد لتشترك في الاتحاد الإيطالي إلا روما، حيث كان يتواجد هناك البابا والجند الفرنسي ، وهو ما دفع الملك فرنسا أمانولا لاستغلال فرصة حرب بروسيا فرنسا في عام ١٨٧٠ ليضيف روما إلى الاتحاد ، وليصبح ملكاً في إيطاليا بحلول عام ١٨٧١م ، وبهذا تمت إقامة الاتحاد في إيطاليا فعلياً.

ج- التجزئة في أوروبا

كان بيسمارك يريد تمكين الدولة من كسب القوة لتعزيز مكاسبها أيضا بعد بناء الوحدة الألمانية، فعقد اتفاقا ثنائياً في سنة ١٨٧٩ ، اتفاق استراتيجي دفاعي ، حيث تم عقد الاتفاق الأمني الدفاعي ما بين ألمانيا وروسيا في عام ١٨٨٧ ، ولهذا كان مؤتمر برلين (١٨٧٨) الذي حدث فيه تقسيم أراضي الدولة العثمانية في البلقان والذي عقد في العهد القوي للألمان ، كان تحت قيادة وتأثير نفوذ بيسمارك الفعلي.

تم توفير السلام وإشاعة أجواء من الاستقرار في أوروبا في هذه الفترات من خلال توقيع تلك الإتفاقاتالثنائية والجماعية ، واشتركت إيطاليا في عام ١٨٨٢ في اتفاق ثنائي نظمته النمسا وألمانيا.

وهكذا بعدما فهمت ألمانيا أنها تأخرت و لم تأخذ نصيبها الكافي من السيطرة العالمية على مصادر القوة والهيمنة، وأنها أصبحت تتمتع بقوة خارقة من خلال الاتفاقات المبرمة فقد قررت التحرك بصورة مغايرة لما تقبله بقية الدول والاتحادات في المنطقة.

فهناك مجموعة دولية كبرى – على رأسها بريطانيا – كانت تقف ضد التحالفات الناجمة عن اتفاقات ألمانيا. وقد اتفق الفرنسيون والروس في ١٨٩١ مع بعض لتأمين جبهاتهم، كما انعقد الإتفاق بين كل من بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٠٤ ، وبين بريطانيا وروسيا في عام ١٩٠٧.

وهكذا باتت الساحة الأوروبية والعالمية مقسمة بين هذين القطبين الكبيرين : ألمانيا والنمسا وإيطاليا في طرف، وبريطانيا وروسيا وفرنسا في طرف آخر ، وهو ما أدى لميلاد كيانات واصطفافات جديدة ، انقسمت أوروبا على إثرها إلى قسمين ، وهي الحالة التي كان عليها الوضع قبل الحرب العالمية الأولى.

أما بخصوص الدولة العثمانية ، فبعد بداية الحروب والاصطفافات الدولية،دخلت الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا.

ب–تطورات في الثورة الصناعية والإستعمار

وصلت حركات النهضة إلى الفترة الكلاسيكية في أوروبا في القرن السابع عشر ، وقد كان للتطورات العلمية التي ظهرت استمرارا للحركات الإصلاحية ومسار النهضة دور بارز في توجيه المسارات وتحديد المصالح ، ويمكننا عد التطورات الرئيسة التي تمت بالصورة الآتية:

١–التطورات العلمية والتكنولوجية

تمثلت التطورات المعرفية والتكنولوجية التي أفرزتها تلك المرحلة بمجموعة من المكتشفات الهامة التي شكلت مفترق طرق في هوية ومنهجية التفكير البشري ،وقد ارتبطت بأسماء بارزة في تلك الفترة أيضاً ، ولعل من أهمها وأبرزها:

– ريني ديكارت (١٦٥٠–١٥٩٦): الذي أجرى دراسات واسعة في على الرياضيات والمنهج .

– ايساك (اسحق)نيوتون: والذي أجرى دراسات في مجال في الجاذبية الأرضية ، وفي الرياضيات وفي علم الفلك أيضا.

– جونس كابلار و جاليو جاليلا ، وقد أجريا الدراسات في الرياضيات وفي مجموعة منوعة من العلوم والمعارف الإنسانية والكونية الأخرى.

– سبينوزا، توماس هوبس، ليبتز ، وغيرهم ، وهؤلاء قد ساروا على خطى ديكارت.

هذه الزيادة في المعلومات أدت إلى التسارع في التطورات التقنية المتبادلة بين الدول والمجتمعات في القرن الثامن عشر بصورة واسعة.

وعلى سبيل المثال، التطور الحادث في معرفة واكتشاف ساعة التوقيف وآلة السدس قد سهل السفر البحري كثيراً ، ولعل القبطان البريطاني جيمس كوك الذي أبحر ثلاث مرات بمساعدات هذه التقنيات الجديدة عرف أثرها الفعلي ، فبهذه الطريقة قام باكتشافات عديدة.

وقد طور هيرشال منظاراً جديداً في عام ١٨٧١ م، وتم العثور على كوكب أورانوس في سياق الكشوفات الفلكية على إثره ، كما بدأ استخدام الموازين الدقيقة في مجال الكيمياء وعلومها ، واكتشف لوجي جلواني التيار ووضع قوانينه الناظمة ، وصنع فولتا البطارية، وتم إجراء التحليل الكهربائي، كما أجرى لاوزيا الدراسات في التفاعلات الكيميائية ، بينما اكتشف بريستلي الأكسجين في مجال الكيمياء ، وقام لنايوس السويدي بتصنيف النباتات في مجال علوم النباتات التخصصية ، وإضافة إلى ذلك فقد طور دارفين ولارمارك نظرية التطور ووضعا أسسها ، واخترع جيمس وات الطاقة البخارية وآلتها.

التطورات والاكتشافات في كل من علوم الرياضيات والفيزياء والكيمياء والنباتات والجيولوجيا والجغرافيا أظهرت تأثيرها في مجال السياسة والاقتصاد أيضا ، فالاقتصاديون مثل ثوماس مالثوس ، آدم سميث ، ريكاردو، طرحوا فكرة ضرورة عدم تدخل الحكومات بسلوك الناس الطبيعي وتوجهاتهم في شتى مناحي الحياة.

أحدثت الصحوة الفكرية في القرن السابع عشر والثامن عشر أثراً كبيراً في المعتقدات الدينية للمسيحيين كذلك ، وعلى سبيل المثال : الأفكار المختلفة من العهد القديم والإنجيل عن "خلق الإنسان" التي طرحها دارفين في كتابه المسمى ب"أصل الأتراك" بعام ١٨٥٩ قد أطلقت عصفاً ذهنياً وسلسلة من الأطروحات والتجاذبات امتدت حتى يومنا هذا.

إضافة إلى هذا ، قدم العالم الروسي مندل الدراسات العلمية الهامة ، وطور قوانين الميراث في الوقت نفسه ، كما قدم لويس باستور الاختراعات في مجال التسوس التخميري وعن مرض دودة القز في القرن التاسع عشر، ووجد طرق إكساب المقاومة والمناعة للمريض عن طريق التطعيم ضد الأمراض المميتة مثل داء الكلب ونحوه ، وهذا ما دفع الدولة العثمانية لمنح جائزة كبرى لباستير ، وفي تلك الفترة أيضاً تم تطوير معارف متنوعة في مجال المطهرات وعلوم التخدير.

في سياق متصل ، طرح جون دالتون نظرية الذرة، وبدأت الدراسات حول هذا الموضوع بعد ذلك بصورة كبيرة وواسعة، كما قام علماء مثل فرادي ديوي، ماكسفال، يونج بالإختراعات الهامة في الفيزياء. ففي سنة ١٨٩٦ تم بيان أن اليورانيوم يبعث أشعة عالية ، كما كشف بيار وماري كوري عن نظرية "النشاط الإشعاعي" بعد دراستهما في هذا المجال، كما أن أينشتاين طرح النظرية "النسبية" أو (الإلتزام) في عام ١٩٠٥م، وفي غضون ذلك ، قدم فرويد الدراسة في مجال تحليل ودراسة الإنسان نفسيا وسلوكياً وطور نظرية "العقل الباطن" في مجال علم النفس.

٢-التطورات في مجال التجارة

كان ارتفاع الأسعار مستقراً ومتماشياً مع نمط الدخل وأسلوب الحياة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، إلا أن ارتفاع الأسعار نتيجة استيراد الإسبان لكمية كبيرة من الفضة من القارة الأمريكية أوجد تضخماً عالياً جداً وعلى نحو متزايد ، فهذا التضخم جاء في ظل إنخفاض مستمر في قيمة النقود وارتفاع الأسعار للسلع ، وأثر في كل أوروبا اقتصادياً ، بدءاً من إسبانيا.

هذه الحالة أدت إلى ارتفاع الأسعار بصورة مختلفة ومتباينة في الدول الأوروبية ، وكان له انعكاساته على التجارة العالمية التي إزدادت بعد اكتشاف القارة الأمريكية وأصبحت أكثر تحركاً وديناميكية.

وصل عدد سكان أوروبا في عام ١٦٠٠ إلى ١٠٠ مليون نسمة ، بينما تصل هذه النسبة في عام ١٤٥٠ إلى ٦٠ مليون نسمة تقريباً ، وهذا الإزدياد السكاني زاد من ارتفاع أسعار المواد الغذائية بصورة كبيرة .

في الوقت نفسه أصبحت هولندا دولة مهمة في مجال الاقتصاد العالمي ،من خلال حركة نقل بضائع الدول الأخرى من ناحية ، ومن خلال مشاركتها في التجارة مع الهند من ناحية أخرى.

في هذه الفترة فقدت موانئ البحر الأبيض المتوسط – التي كانت من أهم مراكز التجارة قبل إكتشاف أمريكا– أهميتها في القرن السادس عشر بشكل تدريجي.

الأوروبيون الذين استغلوا فرصة التسهيلات التي قدمتها الاكتشافات الجغرافية والعلمية في القرن السادس عشر والسابع عشر قد قطعوا شوطاً كبيراً وملحوظاً في مجال التجارة العالمية ، وأثبتوا أنفسهم فيها.

كانت تجارة التوابل الهندية بيد البرتغاليين ، أما الإسبان قد سيطروا على التجارة مع جنوب أمريكا ، وكان البريطانيون والهولنديون في سباق وتنافس كبير مع البرتغال وإسبانيا .

شهدت بريطانيا، فرنسا، هولاند، وألمانيا تطورات اقتصادية هامة في القرن الثامن عشر ،أما نسبة التطور والنمو في جنوب وشرق أوروبا فكانت أقل بكثير مقارنة مع الدول المذكورة أعلاه.

حرصت بريطانيا في هذه الفترة على الصدارة الفعلية في مجال التصنيع ، وأصبحت في نهاية القرن أول دولة صناعية في العالم.

حينها كان يستمر نظام العصور الوسطى في روسيا بنسبة كبرى، وكان عدد سكان أوروبا يزداد باستمرار كما كان في القرن السابق ، حيث وصل عدد السكان إلى ١٩٠ مليون نسمة في سنة ١٨٠٠م، وقد استمرت خطورة المجاعة في القرن التاسع عشر رغم تطوير إنتاج البطاطا في شرق أوروبا وجنوبها.

في تلك الفترة أيضاً كانت الدولة العثمانية تكتفي ذاتياً برغم التعداد السكاني الآخذ بالازدياد ، فقد كانت الدولة العثمانية التي تحكم دول البلقان والأناضول في هذه القرون توفر إنتاجاً زراعياً كبيراً في أراضيها الخصبة يلبي تطلعات سكانها.

صارت التجارة العالمية في القرن الثامن عشر أساساً لاقتصاد العديد من البلدان ، فقد تقدمت بريطانيا وفرنسا في عالم التجارة بصورة كبيرة ، وكان باستطاعتهما الوصول إلى أسواق أمريكا وإفريقيا وآسيا ، وبهذا العصر أيضا تم التقدم في مجال شق الطرق والنقل النهري.

الزيادة في عدد السكان والزيادة في الثروة كانت تشجع على "الاستهلاك الواسع" ،وقد تم توظيف المال الذي اكتسبته بريطانيا من أرباح كبيرة في تجارتها العالمية للتطور الصناعي في هذا القرن ، كما طور البريطانيون قدراتهم التجارية من خلال اعتمادهم على أسلوب يسمى "التجارة المثلثية"، وهذا الأسلوب يعتمد على أن البضائع التي تم إنتاجها في أوروبا تباع في إفريقيا والهند ، في وقت تم اختطاف الزنوج من إفريقيا وأتوا بهم إلى أمريكا لتشغيلهم كأيد عاملة مجانية ، وقد حملوا البضائع المنتجة في دولهم المستعمرة إلى أوروبا.

٣-الثورة الصناعية

بدأت الثورة الصناعية في وسط القرن الثامن عشر واستمرت حتى نهاية القرن في بريطانيا ، ومن ثم التغيير والتقدم التكنلوجي الكبير والاكتشافات التي شوهد في الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا وفي الولايات المتحدة أيضا تدخل في تسمى "الثورة الصناعية".

كانت بريطانيا مركز "الثورة الصناعية" حتى عام ١٨٧٠م.

بريطانيا

النمو السكاني زاد من طلب كافة المواد الاستهلاكية في أوروبا ، كما أنه أدى إلى التطور التجاري والزراعي نتيجة حالة الطلب، أما النمو الإسهلاكي؛ فقد أدى إلى إنتاج أكثر ، ولهذا السبب وجدت الضرورة لإجادة ولإتقان التقنيات الصناعية والإنتاجية الجديدة والمتقدمة ، وبعد أن تم توفير المال اللازم لتفعيل هذه الأمور من المستعمرات التي تزداد تحت سيطرة القوى الاستعمارية تدريجاً ، ومن التجارة العالمية الواسعة، شوهد تكوين المدن الصناعية الأولى لأصحاب المشاريع الحرة في بريطانيا، أما بين عامي ١٨٧٠-١٨٠٠ فظهر النمو الاقتصادي الكبير في بريطانيا وبآليات لا شبيه لها في الأعوام الفائتة.

كان بناء أسس عهد التصنيع مرتبطاً بصورة شمولية بالانتشار التجاري الواسع ، واعتماد نظام التصنيع الشامل، واستخدام الآلات البخارية في مختلف مجالات الإنتاج ، وهذا الوضع أدى إلى التحضر وبدء حياة مدنية مغايرة،

لا سيما مع صنع السكك الحديدية ومدها بشكل واسع ، وتصنيع البواخر والناقلات البحرية ، كما تم تعميم القوة البخارية في مجال المواصلات.

وبإيجاز ، فقد كانت جوانب التقدم التكنولوجي الرئيسة مبينة على النحو الآتي :

- صهر " أ. داربي" في عام ١٧٣٠ الحديد بالفحم، وهكذا بدأ الحديد يستخدم أكثر في مجالات التصنيع والحياة العامة .

- إخترع جيمس وات في عام ١٧٩٦ القوة البخارية والآلة البخارية، ولإستخدام هذه القوة، فقد تم إستخدام الآلة البخارية أولا لتفريغ المياه في المعادن، وعلى إثرها إزداد إنتاج الفحم بسرعة، فالفحم يشكل أساس صناعة الحديد الفعلية.

- بعد أن تم تطوير الآلة البخارية، وتحديداً في عام ١٧٧٤م ، بدأت هذه الآلات تستعمل في تشغيل الأجهزة والمعدات الأخرى، فقد تم استعمال القوة البخارية في مجال الحياكة ، كما دخلت في مجال صنع الأجهزة الجديدة التي تقلص من حجم الإنفاق، وتحول إنتاج النسيج اليدوي إلى الإنتاج الإلكتروني في المصانع ، وبدأ صنع الأقمشة بكمية كبيرة من القطن ، الذي أحدث لبريطانيا مجال تصدير جديد وواسع.

- كان مبنى المعرض المصنوع بالكامل من الزجاج والحديد لأجل معرض كريستال بلاص في عام ١٨٥١ مؤشراً على القدرة التصنيعية لبريطانيا.

- تم تسريع بناء خطوط السكك الحديدية ، حيث تم بناء السكة الحديدية التي تربط الموانئ والمدن الكبيرة ببعضها البعض في فترة تسمى "هوس السكك الحديدية" في عام ١٨٤٥ م.

- شهدت بريطانيا تقدماً في مجال العمل المصرفي مع التقدم التصنيع ، لأن الحاجة إلى رؤوس الأموال كانت تتطلب البنوك الكبيرة والفاعلة.

- صنع فولطون أول سفينة بخارية في عام ١٨٠٧.

- تم إختراع نظام البرقية في عام ١٨٣٧.

- تم قطع شوط كبير في عالم الاتصالات ما بين أوروبا وأمريكا بتركيب الأسلاك تحت البحر في عام ١٨٦٦.

- أما البرقية-اللاسلكية التي تعمل بموجات الراديو، فقد تم إختراعها من قبل مركوني الإيطالي في عام ١٨٩٥م.

- واصلت ألمانيا أعمالها اعتماداً على مبدأ الجمع بين النظرية والتطبيق ، مختلفة بذلك عن البريطانيين والدول الأخرى ، فلم تعد الاختراعات تعتبر من الصدفات أو من المهارات الفردية ، بل كانت سياسة ترعاها الدولة وتدعمها ، فترعرع كبار المنظرين عبر مدارسهم وجامعاتهم ، وأصبحوا الرواد في مجال الكيمياء والكهرباء في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وذلك لكونهم أسسوا أتحاداً متينا بين الدراسات العلمية والتطبيقات التكنولوجية.

- صنع هانري فورد أول سيارة في الولايات المتحدة في عام ١٩٠٣.

- صنع الأخوان رايت أول طائرة في عام ١٩٠٣.

شتان ما بين التطورات التكنولوجية المتواصلة قبل حرب العالمية الأولى ، والتطورات التي وجدت ما بعد عام ١٩١٤م، حيث إنه وبرغم كل هذه الظروف الموضوعية التراكمية ،كانت هناك الاختراعات التقنية الهائلة في القرن التاسع عشر، وهذه الاختراعات الكبرى تمثلت بالآتي:

- الفوتوغراف.
- الدراجة.
- الآلة الكاتبة.
- آلة الخياطة.
- الهاتف.
- اكتشاف الكهرباء.
- إيجاد السيارة.
- ميلاتد علم الأفلام والسينما .
- اكتشاف الراديو.
- الطائرة والبالون ونحوها .

وثمة جانب آخر للثورة الصناعية، تمثلت بالأشياء المخترعة التي لم تبق مجرد ابتكار ، بحيث أن كل ابتكار ولد ابتكاراً آخر .

كمثال على ذلك: اختراع السيارة تطلب التعرف على أنماط الإطارات وتصنيعها بأحجامها وأشكالها وآليات تشغيلها، وتحتاج إلى الكهرباء ، والتي تحتاج للأسلاك النحاسية ، والزيادة في الحياكة تطلبت آلة الخياطة وعلى ذلك يمكن لنا القياس .

نتائج الثورة الصناعية

هناك حقيقة لا بد من فهمها بعمق هنا ، ألا وهي أن الثورة الصناعية زادت من ثروة العالم الغربي بصورة كبيرة وواضحة.

كنتيجة لهذه الثورة تم التقدم في أبعاد مفصلية في الحياة ، مثل : الصحة، الراحة والاستقرار ومستويات النظافة ،والتحضر ، وقد كشفت الفوارق بين الطبقات الغنية من جهة والطبقات الفقيرة العاملة في إطار المصانع من جهة أخرى.

المنظمات والمؤسسات مثل : الشرطة المدنية، التأمين ضد الحوادث، المنظمات الإغاثية التي تساعد الفقراء، مؤسسات جمع القمامة، شبكات الصرف الصحي، النقابات العمالية، السجون، مساكن الأيتام ، المدارس، المشافي، الحدائق ، كلها نتجت عن الثورة المعرفية التي رافقت التصنيع والتحضر ، كما ولدت التيارات الفكرية الاقتصادية مثل: الشيوعية والاشتراكية في مثل هذا الوقت في القرن التاسع العشر.

النمو السكاني كان له أهمية كبيرة في في وقوع الثورة الصناعية والدفع باتجاهها لضرورات ومستجدات التحليل الواقعي، إلا أن الثورة الصناعبة من جهة أخرى زادت من النمو السكاني.

بالنسبة للتعداد السكاني وتوزيعه ونموه ، فقد بلغ عدد سكان أوروبا – رغم هجرة ٦٠ مليون إنسان نحو أمريكا وذهاب الروس إلى شرق الأورال – قرابة ٤٠٠ مليون نسمة في عام ١٩٠٠.

العامل الأكثر أهمية كان قضاء الحاجات البشرية الهامة والمصيرية ، لا سيما التطورات الحاصلة في مجال الطب والأمراض الوبائية والزيادة في توافر التغذية كماً ونوعاً .

أسهمت الثورة الصناعيةبعدة عوامل وتغييرات في الهوية الذاتية للمجتمع الأوروبي أيضاً ، فقد تم انتقال العنصر البشري ورأس المال من الزراعة إلى الصناعة ، كما انتقل من الصيد إلى الزراعة ، وبدأ التدفق على المصانع من الحقول ومن الريف إلى الحضر.

٤–الأنشطة الإستعمارية

الأنشطة الإستعمارية أو "الإمبريالية" هي سيطرة الأوروبيين على الأمم والبلدان الأخرى و إستخدامهم لمصالحهم الخاصة. وتعتبر هذه الأنشطة قد بدأت مع الأكتشافات الجغرافية عامة.

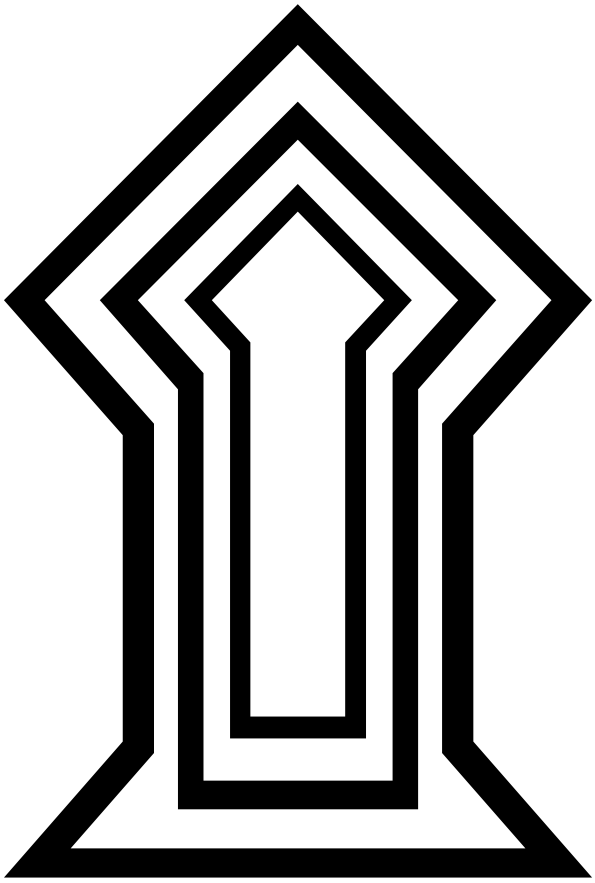

الاستعمار حتى القرن التاسع العشر

تشتت آمال الأوروبيين في الشرق الأوسط والشرق الأدنى مع فتح القنسطنطينية في عام ١٤٥٣م.

كان الأوروبيون يودون الوصول إلى أراضي الصين والهند وأجزاء أكبر من اليابسة في العالم، فقد كانوا يبحثون عن مخرج حقيقي وآمن لهم كي يخرجوا من أوروبا الشرقية والغربية أيضاً ، وبالتالي ، أبحروا باتجاهات متعددة، وقاموا بالاكتشافات الجغرافية التي أسلفنا ذكرها ، ومن خلالها أسست الدول الأوروبية أشكالاً من الاستعمار العسكري والثقافي في سواحل جنوب آسيا وسواحل قارة إفريقيا ، بينما كانت فرنسا وبريطانيا تسيطر على شمال قارة أمريكا ، وكان الإسبان يسيطرون على جنوب أمريكا.

خاضت الدولة العثمانيةالعديد من الحروب مع الدول الأوروبية الطامعة بالسيطرة على البحار والممرات المائية ، وخاضت العديد من الحروب مع البرتغال في المحيط الهندي، أما إعتبارا من نهاية القرن السابع عشر فقد حاربت الدولة العثمانية ضد التوسع الروسي في البلقان وشمال البحر الأسود ، ودخلت في حروب طاحنة مع الاستعمار الأوروبي في شرق وشمال سواحل قارة إفريقيا.

الإمبريالية في القرن التاسع العشر

أثرت أوروبا على مسار الأحداث من خلال السيطرة الكبيرة لها جغرافيا وسياسياً واقتصادياً في بقية العالم في القرن التاسع العشر، هذه السيطرة والتأثير لم تكن تتضمن مناطق معينة فقط كما كان في العصور السابقة، بل كان تأثيراً يشمل الأمم والبلدان والأديان ومختلف الأجناس التي تصل إلى الدول ما وراء البحار، ثمانين في المائة (٨٠%) من أراضي العالم كانت تحت سيطرة الدول الأوروبية في عام ١٩١٤.

الإمبراطورية البريطانية كانت تصف نفسها ب" الإمبراطورية التي لا تغرب فيها الشمس".

أعمال الشغب التي حدثت في جنوب أمريكا في منتصف القرن الثامن العشر والتاسع العشر وضعت حداً لهيمنة الإسبان في المنطقة، كما اهتز وجود البرتغال والهولنديين في جنوب آسيا وإفريقيا ، وضعفت قوتهما ، وهو ما اتاح لمنظومة توسع بريطاني جديد ، فقد امتلك البريطانيون المستعمرات العديدة والمراكز التجارية في كندا، وجزر الهند الغربية، وجنوب إفريقيا، وأستراليا، ونيوزيلندا، وفي سواحل آسيا وإفريقيا أيضا، في وقت استولى فيه الفرنسيون على الجزائر في عام ١٨٣٠ وعلى تونس في عام ١٨٨٠، وفي عام ١٨٨٢ احتل البريطانيون مصر في تحول كبير لمصادر القوة الجيوسياسية في المنطقة .

- أهداف الإمبريالية الأوروبية

الأوروبيون أشاروا إلى أهداف متعددة اعتمدوا عليها في توسعهم الجغرافي ، مثل نشر المسيحية في فترة الاستعمار البرتغال والإسباني ، ومحاصرة المجتمعات الإسلامية من الشرق في القرن السادس عشر والسابع عشر.

في فترات الاستعمار البريطاني والهولندي والفرنسي، كانت لديهم أهداف تتعدى البعد الديني، كتوفير المنافع الاقتصادية ، وحيازة الأرض والقوة الجيوسياسية.

إلا أنه بسبب اعتقاد الأوروبيين بتفوقهم العسكري والجغرافي والاقتصادي ، فقد حاولوا تبرير سيطرتهم التوسعية الإحلالية والاحتلالية قائلين بأن الديانة المسيحية والإدارة الأوروبية مفيدة وناجحة ، وقاموا بهذا الفعل كوظيفة لرفع حضارة أمم العالم ونقل النجاح الأوروبي إليهم لنقلهم من حالة " الجهل والظلام " إلى عهد النور الأوروبي.

الأوروبيون الذين تقاسموا العالم دون أي نزاع مهم حتى عام ١٩١٤ بدأت نزاعاتهم تظهر للعلن في عام (١٩١٤)م، وتم تدمير القوى والنظريات الاستعمارية سريعاً بعد الحرب العالمية الأولى ، نتيجة التطورات التي شهدتها المنطقة ، فقد نالت العديد من الأمم استقلالها – ولو بصورة شكلية – ولكن لم يقض على تأثيره وتفوقه الاقتصادي والسياسي تماماً.

ج–عصر التنوير

ظهر تيار فكري جديد بين المفكرين الأوروبيين والكتّاب في القرن الثامن عشر مع تأثير أحداث النهضة والإصلاح، وكان هذا الفكر يعتمد على "إمكانية التوصل إلى حقيقة الطبيعة والبشر عن طريق العقل".

أطلق على هذا التيار اسم : " التنوير " ، و سموا هذا العصر بعصر التنوير.

تيار التنوير بدأ ضد " أوروبا القرون الوسطى" ، فأوروبا القرون الوسطى؛ كانت قارة تحت حكم البابا ورجال الدين المسيحي الذين يسمون "الرهبان"، كما أن الإمبراطور وطبقة النبلاء التي كانت تابعة للبابا والرهبان كانت تتمتع بسلطات محصورة بالرغبة البابوية العليا ، والإدارة كانت بيد البابا ووفق توجيهات الإمبراطورية الكبرى: روما-جرمان المقدسة.

لم يكن بإمكان أحد التعبير عن فكره إذا كان مختلفاً عن أفكار رجال الدين ، وليس من الممكن أن يتم فهم أو تأويل الإنجيل بغير توضيح الرهبان وبيانهم ، وإضافة إلى ذلك ، لا يقبل تدخل الشعب بإدارة الدولة التي تدار من قبل الإمبراطورية وطبقة النبلاء ، بل لا يمكن للفرد التفكير بهذه المواضيع الخطرة ، وبهذا الصدد ، كان التفكير الحر ، والإرادة الحرة ، إثنين من المنطلقات الهامة التي أثارها ودعمها عصر التنوير.

وخلاصة هذا العهد ، أنه أسس لمرحلة جديدة ، أرست متغيرين اثنين في الواقع :

١-تطورات في الحياة الفكرية

حيث تجمعت القوة الفكرية الأوروبية في القرن السابع عشر في المجالات المتعددة ، مثل الرياضيات وعلم الهندسة وعلم الفلك أيضاً.

من أبرز العلماء الذين أسهموا في تجميع الفكر والمعارف في العلوم العقلية : جي كابلر، جليلاي، ودسكارتس ، سبينوزا في هولاند، تي هوبز في بريطانيا ، ليبنيز في ألمانيا ، وهؤلاء كانوا من المفكرين المهمين في هذا القرن بمجالاتهم التخصصية .

في الدراسات التي أجراها نيوتن ، كشف أن الكون يعمل بالقوانين التي هي قابلة للاكتشاف، في حين أن أدب عصر التنوير ركز على المشاكل البشرية، وفي الوقت ذاته كان الفلاسفة يستخدمون الأماكن غير الأوروبية في مجال التأليف للكتب السياحية والخيالية للتعبير عن أفكارهم ، وقد كان ألف مونتيسكو كتابا اسمه "رسائل بيرس (إيران)" ، وكتب فولتير أيضاً كتاباً مماثلاً لهذا الكتابفي فحواه ومضمونه .

كما طرح روسو الأفكار الجديدة حول المجتمع والإدارة في كتابه "العقود الاجتماعية" في عام ١٧٦٢.

الفكرة الأساسية الأخرى لعصر التنوير : أن "المعرفة هي القوة"، وقد برع المفكرون الموسوعيون في فرنسا بالتعبير عن هذه الفكرة، أما اقتصاديو عصر التنوير فقد كانوا ملفتين حول آراء الفيزيقراطيين بفرنسا وآدم سميث في بريطانيا.

٢-التطورات في العلوم الطبيعية والبشرية

السويدي كارل قام بتصنيف النباتات في مجال العلوم النباتية التخصصية ، كما قام بوفون الفرنسي بمحاولة لتفحص تشكيل العالم ، وألف عن ذلك في كتابه "تاريخ الطبيعة"، وقد أجرى تشارلس ليل الدراسات المهمة في مجال الجيولوجيا، وطور دارفين وليمارك النظريات حول خلق الإنسان والحيوان والنبات أيضاً.

لم يمض وقت طويل حتى أثرت التطورات في العلوم في مجال العلوم الاجتماعية ، حيث اكتشف عقلانيو القرن الثامن عشر الكثير من قوانين الكون المادي، وقد وجدوا بعد فترة السند والدعم ممن يقفون معهم من المفكرين الدارسين في مواضيع السياسية والعلوم الاجتماعية المشابهة.

كتاب دانيال ديفوي "روبينسون كروزو " في بريطانيا ، وكتاب سويفت "رحلات جوليفر" ،كانا كتابان مؤثران للغاية في البيئة الثقافية الأوروبية/ وكذلك كانت رواية كيرفانتيس "دون كيشوت" التي اكتسبت سمعة واسعة في كل أرجاء أوروبا ، وفي هذه الفترة ظهرت الصحف والمجلات والنشرات الدورية وتطورت في القرن الثامن عشر في أوروبا.

ومع هذه التطورات، ظهر تيار "الرومانسية" في مجال الأدب ، وأما في الهندسة المعمارية قد برزت العديد من الهياكل الفلسفية مثل طراز "باروكي"، كما نشأت في مجال الموسيقى مدارس معرفية متعددة ، أبرزها مدرسة كل من هاندل وباتش وهايدن.

أصبح التقدم الهام في العلوم البشرية في القرن التاسع عشر عنواناً لتلك المرحلة ، والسبب في ذلك الحاجة لفهم طبيعة ومآلات المجتمع الصناعي ، فقد كان المثقفون يحاولون أن يفهموا مجيئ كتل بشرية ومعرفية تحت سيطرة الكنيسة والنبلاء إلى المدن ، و إنتقالهم من نظام القرية والزراعة المعينة إلى النظام الصناعي والمدينة المعقدة.

طرح هاربرت سبينسر نظرية تطور المجتمعات، وقام باحتساب القوانين الأساسية المرتبطة بعملية التكيف والانتقاء الطبيعي والبقاء على قيد الحياة كطبيعة بشرية ، وكان كومتي يدعي في فرنسا أن هناك قوانين اجتماعية معينة تشمل المجتمع كله، وأن على الإنسان أن يقبل الوظيفة والمكانة التي يمنحها له المجتمع، بعد

ذلك تم تطوير آراء كومت صاحب رأي الفلسفة الوضعية من قبل أميل دوركايهم، حيث طرح دوركهم موضوع علم الاجتماع بطريقة منهجية و طور مفاهيمه وأسسه أيضاً.

شدد وهاردر وهيجل على أهمية تفعيل ذهن الإنسان وعوامل اللغة والثقافة، بعد ذلك ، تم تطوير فكر هيجل من قبل كارل ماركس بصورة توائم واقع المجتمعات في تلك الحقبة الزمنية.

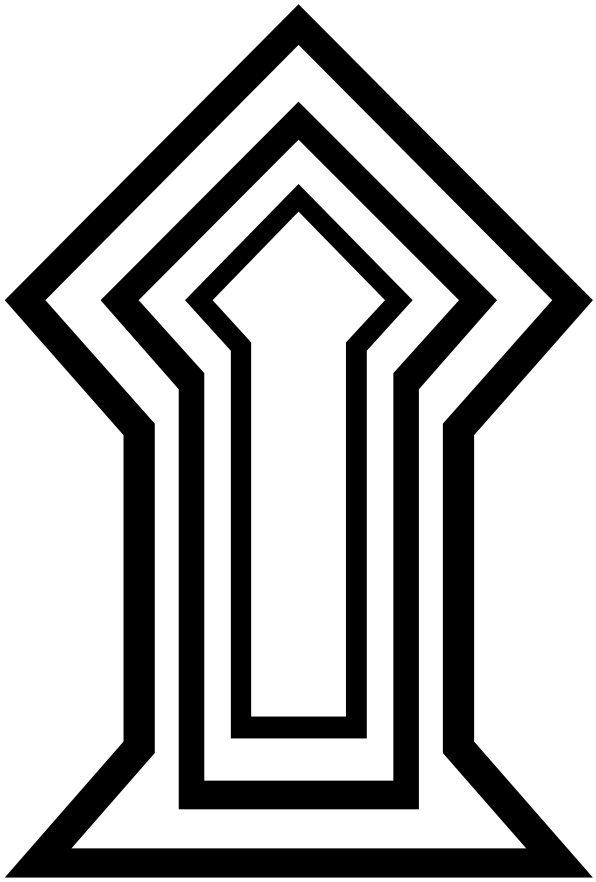

تمت عملية الترجمة بحمد الله وتوفيقه

اسطنبول

٢٠١٤ م

د. نزار نبيل أبو منشار " الحرباوي"

آمنة نور فيصل قافالي

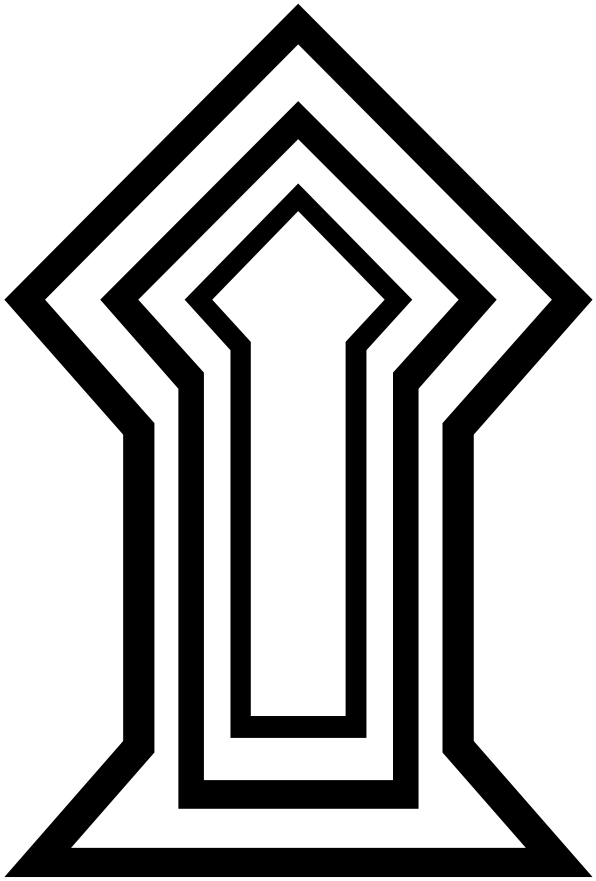

الخاتمة

بفضل الله تعالى ومنّه وكرمه تم الانتهاء من نقل المعارف والمفاهيم التي يجب علينا في المشرق الإسلامي أن نعيها من محتويات هذا الكتاب القيم من اللغة التركية " لغة التأليف " إلى اللغة العربية .

لقد جهد فريق الترجمة في محاولة منه لنقل هذه المحتويات المعرفية التي أبدع المؤرخ التركي الكبير الأستاذ ولي شيرين في بسطها بأسلوب موجز مقتضب للدارسين والباحثين إلى اللغة العربية ، وذلك غيماناً منا بأهمية هذه المعارف وضرورة تعميمها على الشباب العربي كما يتم تعميمها على الشباب التركي.

هنا ، نتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى المؤرخ الكبير الأستاذ ولي شيرين على جهده وبحثه وتأليفه ، وعلى منهج الإذن لنا بالترجمة ، سائلين الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا جميعاً .

نسأل الله التوفيق والسداد

د. نزار نبيل أبو منشار " الحرباوي" آمنة نور فيصل قافالي

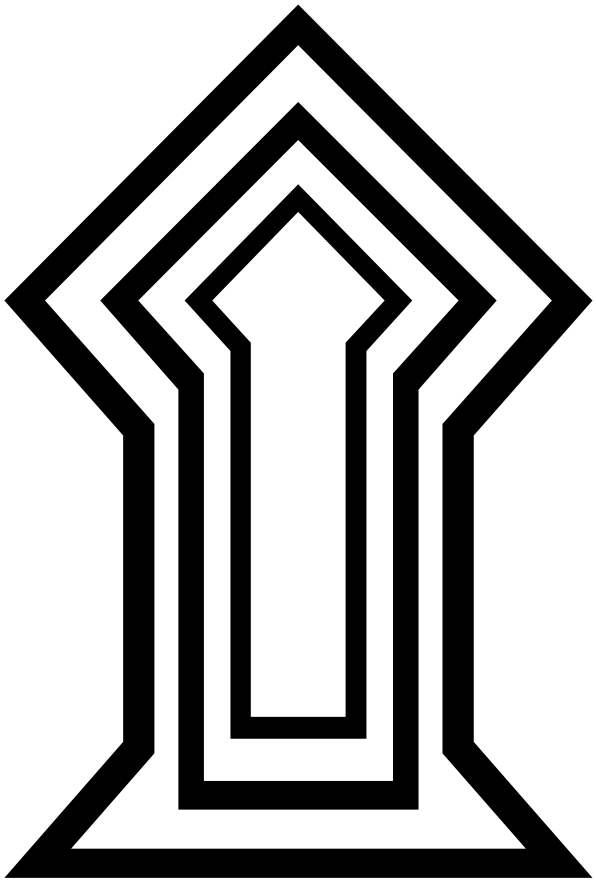

المحتويات

مقدمة المترجم	
مقدمة المؤلف	
تاريخ أوروبا (١)	
تأسيس الممالك المركزية و انحلال الإقطاعية	
التطورات التقنية	
توسع أوروبا	
أسباب التوسع	
الاكتشافات	
نتائج الاكتشافات	
أسباب تفشي مظاهر عصر النهضة (ريناسانس) و نتائجها	
عصر النهضة وأسباب نشوئه	
انتشار عصر النهضة	
نتائج عصر النهضة	
أسباب انتشار الإصلاح و نتائجه	
الإصلاح و أسبابه	

مارتن لوثر و ميلاد البروتستانتية	
نتائج الإصلاح	
المسيحيون في الأراضي العثمانية و الإصلاح	
نص للقراءة	
تاريخ أوروبا (٢)	
من الحكم الدكتاتوري المطلق إلى البرلمانية	
الحكم الدكتاتوري المطلق والنظام الملكي	
تطورات في الحكم الدكتاتوري المطلق	
الثورة الفرنسية، أسباب الثورة ونتائجها	
جهود العودة إلى النظام القديم و ردود الأفعال	
إنشاء الإتحاد السياسي والتكتلات بألمانيا و إيطاليا	
الثورة الصناعية و الاستعمار	
التطورات العلمية و التكنولوجية	
التطورات في مجال التجارة	
الثورة الصناعية	
الأنشطة الاستعمارية	
عصر التنوير	

التطورات في الحياة الفكرية	
التطورات في علوم الطبيعية والعلوم البشرية	
الخاتمة	
المحتويات	